

تسليم عبد القني ١٩٦٢
64691

64691

أغاني الحياة

ديوان شعر أبي القاسم الشابي

مع مائة رسوم بريشة الفنان حاتم المكي

الطبعة الأولى

د. ٥. ٥

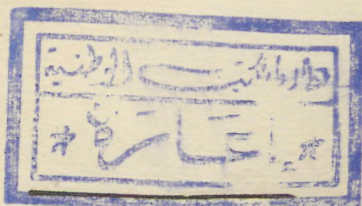
٦٩٣٥٥

ملتزم الطبع والنشر

دار الكتب الشرقية

جميع الحقوق محفوظة

١٩٥٥



دار مصير للطباعة

٣٧ (٦) شارع كاسم صديقي البغداد

أَعْنَانِي الْحَيَّاتُ

هو ديوان أبي القاسم الشابي نخرجه كما أعدّه ، وعلى الترتيب الذى اختاره له ، فلم نتصرف فيه إلا بإضافة القصائد التالية التى لم يثبتها الشاعر وهى :

« نظرة فى الحياة » ، « أنشودة الرعد » ، « فى الظلام » ، « أيها الليل » ، « شعرى » ، « أيها الحب » ، « أغنية الأحرار » ، « جدول الحب » .

وكان الشاعر يتعهد شعره بالمراجعة من حين لآخر ، فيصالح منه ؛ وسيدرك مدى هذا التنقيح كل من يتسنى له أن يقابل بهن ما قد نشر من شعره ، وبين هذا الديوان .

م . أ . ش



أبو القاسم الساجي



إرادة الحياة

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
ولا بد لليل أن ينجلي
ومن لم يعانق شوق الحياة
فويل له لم تشق الحياة
كذلك قالت لي الكائنات
وحدة شير وعها المستنير

ومدت الرّيح بين الفجاج
«أذا ما لمحت إلى غايته
ولم أجدت وعور الشعاع
«ومن لا يجت صعوة الجبال

يعش أبداً الدهر بين الحفر
فعمّجت بقلبي وماء الشباب
والهزقت، أصغي لقصف الروع
وفجّحت بصديري رايح آخر

وعزف الرياح، ووقع المطر

المكتبة
ترجمة المؤلف
VALE DE TUNISIE

بفلم
محمد الأمين الشاذلي

أبو القاسم الشابي

١٩٠٩ — ١٩٣٤

من أبناء القرن العشرين الذين نشأوا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، أيام كان العالم العربي يتعثر بين حاضره الأليم وماضيه القريب المنقوص ، ودعاة الإصلاح وأنصار الجديد في تلك الفترة الانتقالية ، إنما يلقون جحوداً وأذى لا تزيدهما سيطرة الغرب على الشرق ، وشموخه بحضارته ، ووثوقه بمصيره ، إلا احتداما وسطوة لدى فريق واسع من الخاصة والعامة على السواء .

يبدو أن الشاعر لم يتردد كثيراً حتى عرف سر به فانضم إليه ، ثم صدح محلقاً إلى أن احتطفت به يد المنون وهو في ريعان الشباب .

كان والده ^(١) من خريجي الأزهر ون مجازيه ، وبه درس أولاً ، فأقام بمصر في أوائل هذا القرن سبع سنين ، ثم درس بتونس بجامع الزيتونة سنتين ، حصل بعدها على « التطويع » ^(٢) ، ثم سمي قاضياً شرعياً لسنة من ولادته بكرة أبي القاسم فتصرف في قضاء كثير من البلدان التونسية .

كان يقضى يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل حيث يتبسط مع أهله ، ولقد نشأ أبو القاسم في سنى تكوينه الفكري والخلقي في كنف رعايته الصالحة يفتبس من علمه وآدابه .

(١) هو المرحوم الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي سليل أسرة « الشابية » التي تمحضت للعلم بعد أن أنجبته في القرنين العاشر والحادي عشر هـ . من حملة القلم والسيف من اكتسبت بمساعيمهم مجدداً سجله التاريخ التونسي .

(٢) هي إجازة نهاية الدراسة بالكلية الزيتونية في ذلك العصر .

كان رحمه الله صادق التقي ، قوى العقيدة لا يخشى في الحق لومة لائم ، له غيرة على شئون المسلمين والإسلام ، تفعل بما يجري آنذاك من أحداث بالشرق العربي وطرابلس الغرب أو بلاد الريف .

قال الشاعر متحدثاً عن أبيه ! « إنه أفهمنى معاني الرحمة والحنان ، وعلمنى أن الحق خير مافى هذا العالم وأقدس مافى هذا الوجود ^(١) » .

* * *

لم ينشأ أبو القاسم بمسقط رأسه ، فقد خرج عنه في سنته الأولى ولم يكده يعرفه إلا قليلاً ، أنما قد مثنين أقام فيهما نحواً من ثلاثة أشهر ، الأولى عند ختانه في الخامسة من عمره ، والثانية زائراً ، وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين سنة ضربت في بحرها بالبلاد التونسية طولا وعرضا ، متقلبة من قابس إلى سليانة فتالة ، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل فرغوا من هذه المدن من الأميال ما يقدر بالمئات أحيانا ، وعلى نسبة ذلك اختلاف العادات واللباس والمناظر الطبيعية ، فلم تكن واحدة قابس كبسات مجاز الباب يغمرها الحصيد ، ولا هذه كبساتين رأس الجبل أو كجبل زغوان يكسوه شجر الصنوبر ، ولم يكن حر قابس كشلوج تالة ، ولا حياة الفلاحين بمجاز الباب كحياة صيادي البحر بقابس أو رأس الجبل ، ولا طباع أهل الشمال كطباع أهل الجنوب .

هذه مراحل أبي القاسم وشبابه عملت على تضخم تجربته وتدفق شاعريته وازدهار ريشته ، بيد أن الشاعر أفاد ما يفيد كل عابر سبيل متميِّظٍ واج ، إذا ما استقر بأرض كان ربيبها لا ابنها الأصيل . فأطلقه هذا المصير من حدود البيئة الضيقة وأكسبه « تونسية » إنسانية الآفاق .

* * *

(١) كتاب « الخيال الشعري عند العرب » صفحة الإهداء - وقد أهداه لوالده .

١٠ قدم أبو القاسم إلى العاصمة سنة ١٣٣٩ هـ — ١٩٢٠ م للدراسة بجامع الزيتونة في الثانية عشرة من عمره ، وقد تكون سريراً ، وقال الشعر باكراً^(١) . كوّن نفسه ثقافة واسعة عربية بحمة جمعت بين التراث العربي القديم في أزهى عصوره وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر ، ولم يكن يعرف لغة أجنبية ، فتمكن بفضل مطالعته الواسعة من استيعاب ما تنشره المطابع العربية عن آداب الغرب وحضارته . وكانت أول نشراته في الصفحة الأدبية التي كانت ترتبها « النهضة » كل اثنين — سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٦ م وفي سنة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٧ م . ظهر شعره مجموعاً في المجلد الأول من كتاب « الأدب التونسي في القرن الرابع عشر »^(٢) وفي نفس السنة ألقى بنادى قدماء الصادقية محاضرة حول « الخيال الشعري عند العرب » كانت مادة الكتاب الذي نشر بنفس العنوان في السنة التالية .

وإنك لتجده وهو يواصل دراسته ويضع شعره في صميم حركات الإصلاح التي كانت تعتلج بها النفوس آنذاك من بعث حركة الشبان المسلمين ودعوة لتجديد الجهاز

(١) قصيدة (يا حب) التي أثبتناها بالديوان ، نظمها سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٣ م . وقد وصف صديقه الأستاذ زين العابدين السنوسي طريقته في وضع قصائده فقال : (إذا رجعنا إلى أدبائنا المعاصرين عرفنا أن للرحوم أبا القاسم الشابي لم يكن يستعمل الشعر ولكنه كان يفيض عليه مهاجمة تمنعه الراحة والنوم ، فيصوغ القصيدة بيتاً بيتاً ويتجسّد كل واحدة بمفردها في ليلة وظلامه الدامس . ولا تفارقه تلك الحال حتى يستفرغ ما جاش بضميره شعراً محكماً ، ثم ينام مطمئناً كأنما نزع عن ظهره عبثاً ، حتى إذا استيقظ في الغد متأخراً وجدها على طرف لسانه ونسخها عن ذاكرته مطمئناً ، وربما طاش عنه الشطر فلا يرضى أن يعوضه أبداً ، وتبقى القصيدة بتراء في جيبه يقرؤها علينا بتراء لا يحسر على تركها أبداً . إلا أن يتذكرها ولو بعد أشهر فيتمها وينسخها في كفاشة) .

(٢) تأليف الأستاذ زين العابدين السنوسي (انظر الجزء الأول من صفحة ٢٠٣ حتى صفحة ٢٥٤) .

الثقافي التقليدي ، ومفاصرة الحركة تحرير المرأة^(١) ودعوة للتجديد في الأدب تمثل المكان الأول من نفسه وقد أحدث كتابه « الخيال الشعري » الضجة الكبرى واستهدف الشاعر بسببه حملة صحفية عنيفة ثبت لها ثبات الرائد المؤمن بما يقول . نشرت هذه الآثار في حياة والده ، فلم ينسكرك عليه مذهبه ، ووجد الشاعر في تسامح أبيه ما يعزز جانبته ويثبت خطاه .

وفي هذه الأثناء (سنة ١٩٢٩) نكسب ب وفاة والده الحبوب ، ولقد رافقه عليلا من بلد « زغوان » إلى « توزر » مسقط رأسه ، وتجرع غصص مرضه ، وطفحت السكاكين بموته وهو في الخمسين من عمره ، فاضطلع بأعباء عائلة كبيرة واختار طريقاً وعراً ، فإنه — ضمناً بحرية الأدب والشاعر — لم يلج باب الارتزاق من المناصب الحكومية ورضى بحياة بسيطة على رأس أسرته بتوزر حيث تزوج ، ولعل هذا الذي عناه بعضهم حين قال : « كنا نرى في نفسه الركية مثال القناعة في أفضل ألوانها والطموح على خير وجوهه »^(٢) .

وفي السنة نفسها أصيب بداء تضخم القلب ، وهو في الثانية والعشرين من عمره ، بيد أنه رغم نهى الطبيب لم يقلع عن عمله الفكري وواصل إنتاجه نشأً وشعراً . وقد نشرت له سنة ١٩٣٣ مجلة « أبولو » المصرية قصائد عملت على التعريف به في الأوساط الأدبية بالشرق العربي ، وإلى أبي القاسم أوكل صديقه الدكتور أحمد زكي أبوشادي تصدير ديوانه « الينبوع » .

لم يكن الشاعر المريض يغادر « توزر » إلا في الصيف ويقصد المصطافات الجبلية كعين دراهم بالشمال التونسي سنة ١٩٣٢ ، والمشروحة ببلاد الجزائر سنة ١٩٣٣ ،

(١) ناصر الشاعر صديقه المغفور له الطاهر الحداد واضح كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » الذي أثار ردوداً حارة وسخطاً عنيفاً .

(٢) مجلة « العالم الأدبي » (شعبان سنة ١٣٥٣ — نوفمبر سنة ١٩٣٤)

وشرع أثناء مصيف سنة ١٩٣٤ في جمع ديوانه « أغاني الحياة » بنية طبعه بمصر^(١) فانتسخه بنفسه بحماة الجريد ، مستمياً ببعض أدائها ، لكن باغمته المنية وحالت دون مانوى . فقد انتابه المرض بغاية الشدة وقصد « تونس » يوم ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٤ وبها توفى^(٢) سحراً يوم ٩ من أكتوبر سنة ١٩٣٤ ، ثم نقل جثمانه إلى بلده « توزر » حيث قبره .

نحيف الجسم ، مديد القامة ، قوى البدنية ، سريع الانفعال ، حادّ الذهن ، تكفّ كف رقة طبعه من غرب عاطفته وحدة ذهنه يراه أصدقاؤه « بشوشاً ، كريماً ، ودعماً ، متأنقاً ، طروباً لمجالس الأدب يحب الفكاهة الأدبية »^(٣) ويراء من لم بخالطه حياءً محتشماً ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة قوية يبدئها بخاصة خلطائه في غير ما تخرج متى اجتمع بهم ويحاضر بها العموم في شعره ونثره . وكان محباً لبلاده ، صادق الوطنية^(٤) يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة إنسانية سليمة حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولاً وعملاً .

تونس في ١٢ من افريل سنة ١٩٥٤

- (١) حيث تطوع الدكتور أبو شادي الاشراف على طبعه .
 (٢) بالمستشفى الإيطالي « القديم » بحى « موفلورى » .
 (٣) العالم الأدبي ديسمبر ١٩٣٤ بقلم المغفور له البشير الفورتى عميد الصحفيين التونسيين .

(٤) أبنته في ذكره الأرمينية المرحوم الطاهر صفر أحد قادة الحركة الوطنية الممتازين إذذاك وأحد أعضاء الديوان السيامى للحزب الحر الدستورى التونسى بما خلاصته : (تكلم الأستاذ صفر نيابة عن قدماء الصادقية على شاعرنا الفقيه فأكبر روحه الأدبية ونبوغه الشعرى وأشار إلى الناحية الوطنية والإحساس الفياض الذى كان الشاعر يفيض به عن آمال بلاده وآلامها ، وقد ذكر الخطيب أنه اجتمع مع فقيدنا الشبان في بلدة طبرقة حينما كان الشاعر في حال شديدة من الألم ، وقد دار إذ ذاك الحديث بين الشاعر والزعيم فى الوطنية عما يؤمله للشعب التونسى من التقدم وورثى الشاعر لحال الشعب الآن ، وقد عبر عن ذلك فى قطعة شعرية وطنية نشرتها جريدة « العمل » بعدد (٢٢) « العالم الأدبي » فى ديسمبر سنة ١٩٣٤ .

مِنْ وَرَاءِ الظَّالِمِ

ضَيِّعَ الدَّهْرَ مَجْدَ شَعْبِي ، وَلَسَكِنْ سَتَرْتُ الْحَيَاةَ يَوْمًا وَسَاحَةً
إِنْ ذَا عَصْرُ ظُلْمَةٍ ، غَيْرَ أَنِّي مِنْ وَرَاءِ الظَّالِمِ شِئْتُ صَبَاحَةً

هذان البيتان استبقاها الشاعر لهذا الديوان من قصيدة نظمها في ذي القعدة ١٣٤٣ .
وإلى القارئ نصها بعنوانها كما وجدناه في مسودات الشاعر :

تونس الجميلة

لست أبكي لعسف ليلٍ طویل ، أو لربيع غدا العفَاءِ مراحه
إنما عَبَرَتْنِي لَخْطَبٍ ثَقِيلٍ ، قد عرانا ، ولم نجد من أراحه
كلما قام في البلاد خطيبٌ ، موقظٌ شعبه يريد صلاحه
أخذوا صوته الإلهي بالعسف ، أماتوا صدأه ونواحه
ألبسوا روحه قميصَ اضطهادٍ فأتك شائك يردُّ جماعه
وتوخَّوا طرائق العسف والإر هاق تَوًّا ، وما توخَّوا سَمَاحَه
هكذا المخلصون في كل صوبٍ رشقات الردى إليهم مُتَاحَه
غير أنا تفاوينا الرزايا واستباححت حمانا أيَّ استباحه

أنا ياتونس الجميلة في لجج الهوى قد سبحت أيَّ سباحه

شِرَّتِي حُبِّكَ الْعَمِيقُ وَإِنِّي قَدْ تَذَوَّقْتُ مُرَّهُ وَقَرَّاحَهُ
 لَسْتُ أَنْصَاعُ لِلْوَاحِي وَلَوْ مَسَتْ وَقَامَتْ عَلَى شِبَابِي الْمُنَاحَهُ
 لَا أَبَالِي... وَإِنْ أُرِيقَتْ دِمَائِي قَدَمَاءَ الْعِشَاقِ دَوْمًا مُبَاحَهُ
 وَبَطُولِ الْمَدَى تُرِيكِ اللَّيَالِي صَادِقِ الْحُبِّ وَالْوَلَا وَسَجَاحَهُ
 إِنْ ذَا عَصَرُ ظَلَمَةٍ غَيْرِ أُنِّي مِنْ وَرَاءِ الظَّلَامِ شَمْتُ صَبَاحَهُ
 ضَيِّعَ الدَّهْرِ نَجَدَ شَعْبِي وَلَسَكُنْ سَتَرْدُ الْحَيَاةِ يَوْمًا وَشَاحَهُ

مِنْ حَدِيثِ الشُّيُوخِ

أَلَا إِنَّ أَحْلَامَ الشَّبَابِ ضَائِلَةٌ تَحْطُمُهَا مِثْلُ الْغَمُونِ الْمَصَائِبِ
 سَأَلْتُ الدِّيَاحِي عَنْ أَمَانِي شَبِيبَتِي فَقَالَتْ : « رَأَيْتُهَا الرِّيَّاحُ الْحَوَائِبُ »
 وَلَمَّا سَأَلْتُ الرِّيحَ عَنْهَا أَجَابَنِي : « تَلَقَّفَهَا سَمِيلُ الْقَضَا ، وَالتَّوَائِبُ »
 « فَصَارَتْ عَفَاءً ، وَاضْمَحَلَّتْ كَذَرَّةً عَلَى الشَّاطِئِ الْحُمُومِ ، وَالْمَوْجِ صَاحِبُ »

خَلَّةٌ لِلْمَوْتِ

كُلُّ قَلْبٍ حَمَلَ الْخُسْفِ ، وَمَا مَلَّ مِنْ ذَلِّ الْحَيَاةِ الْأَرْذَلِ
 كُلُّ شَعْبٍ قَدْ طَغَتْ فِيهِ الدَّمَاءُ دُونَ أَنْ يَنْتَارَ لِلْحَقِّ الْجَلِي
 خَلَّةٌ لِلْمَوْتِ يَطْوِيهِ ! . . فَمَا حَفَظَهُ غَيْرُ الْفَنَاءِ الْأَنْكَلِ

الحياة

إن هذى الحياة قيثاراً الله ، وأهل الحياة مثل اللحن
نعم يسقي المشاعر كالسحر ، وصوت يخل بالتلحين
والليلى مغاوير ، تلجّد اللحن وتقضى على الصدى المسكين

نظرة في الحياة

إن الحياة صراعٌ فيها الضيف يداس
ما فاز في ماضئها إلا شديد المراس
للخبّ فيها شجونٌ فكن فتى الاحتراس
الكون كونٌ شقاء الكون كون التباس
الكون كون اخلاقٍ وضجة واختلاس
سيان عندي فيه السرور ، والابتئاس

بين النوائب بونٌ للناس فيه مزايا
البعض لم يدر إلا البلى ينادى البلايا
والبعض مذاق منها سوى حقير الرزايا

إن الحياة سُباتٌ سيدة قضي بالمنية ايا
وما الرؤى فيه إلا آمالنا ، و الخطايا
فإن تيقظ كانت بين الجفون بقايا

إن السكينة رُوح في الليل ليست تُضام
والروح شعلة نور من فوق كل نظام
لا تنطفئ بريح الـ إرهاب أو بالحسام
بل قد يمج لها سياتاً ، ويطفئ الضرام
كل البلايا . جميعاً تنفئ ويحيى السلام !
والذل سمة عار لا يرتضيها الكرام !

الفجر يسطع بعد الـ دجى ، ويأتى الضياء
ويرقد الليل قسراً على مهاد العفاء
وللشعوب حياة حيناً وحيناً فناء
والياس موت ولكن موت يثير الشقاء
والجدُّ للشعب روح توحى إليه الهناء
فإن تولت تصدَّت حيانته للبلاء

غُرْفَةُ مَنْ يَم

ضعفُ العزيمةِ لحدٍّ ، في سكينته
وفي العزيمةِ قُوَّاتٌ ، مُسَخَّرَةٌ
والناسُ شخصان : ذا يسعى به قدَمٌ
هذا إلى الموتِ ، والأحداثُ ساخرةٌ ،
ما كلُّ فعلٍ يُجِلُّ النَّاسُ فاعله
ففي التماجدِ تمويهٌ ، وشعوذةٌ ،
ما المجدُ إلاَّ ابتساماتٌ يفيض بها
وليس بالمجدِ ما تشقى الحياةُ به
فما الحروبُ سوى وحشيَّةٍ ، نهضتْ
وأيقظتْ في قلوبِ الناسِ عاصفةً
فالدهرُ منتعلٌ بالنارِ ، ملتحفٌ
والأرضُ داميةٌ ، بالإثمِ طاميةٌ ،
والموتُ كالماردِ الجبَّارِ ، منتصبٌ
وفي المهامه أشلاءٌ ، ممزقةٌ

تقضى الحياةُ ، بِنَاهُ اليأسِ والوجلِ
يخرُّ دون مداها الشامخُ الجبلُ
من القنوطِ ، وذا يسعى به الأملُ
وذا إلى المجدِ ، والدُّنيا لَهُ خَوَلُ
مجدًا ، فإنَّ الورى في رأيهم خطلُ
وفي الحقيقة مالا يدركُ الدَّجلُ
فمُ الزمانِ ، إذا ما انسَدَّتِ الحِيلُ
فيمحسُدُ اليومُ أُمسًا ، ضمه الأزلُ
في أنفُسِ الناسِ ، فانقادتْ لها الدولُ
غام الوجودُ لها ، وازبَدَّتِ السُّبُلُ
بالمهولِ ، والويلِ ، والأيامُ تُسْتَعِلُ
ومارِدُ الشرِّ في أرجائها ثَمَلُ
في الأرضِ ، يخطف من قدخانه الأجلُ
تتلو على القفرِ شعرًا ، ليس يُنْجَحِلُ

أَنْشُودَةُ الرَّعْدِ

في سكون الليل لما عانق السكون الخشوع
واخفنى صوت الأمانى خلف آفاق الهجوع

رتّل الرعد نشيدا ردّته الكائنات
مثل صوت الحق إن صاح بأعماق الحياة

يتهدى بضجيج في خلایا الأودية
مثل جبار بنى الجن بأقصى الماوية

فسألت الليل ، والليل ل كئيب ، ورهيب
شاخصا بالليل والليل ل جميل ، وغريب

« أرى أنشودة الرعد أنين وحزن
رنتها بخشوع مهجة السكون الحزين ؟ »

أم هي القوة تسعى باعتساف واصططخاب
يتراءى في ثنايا صوتها روح العذاب ؟ »

غير أن الليل قد ظل ركودًا ، جامدًا
صامتًا مثل غدير ال قفر ، من دون صدى !

في الظلام

رفرفت في دُجِية الليل الحزين زُمرَةٌ الأحلام
فوق سرب من غمامات الشجون ملؤها الآلام

شخصت ، لما رأت ، عينُ النجوم بهمة العشاق
ورمتها بمن سماها برجوم تسكب الأحراق

كنت إذ ذاك على ثوب السكون أنثر الأحران
والهوى يسكب أصداء المنون في فؤادٍ فان

ساقياً مثل جميع الكائنات راكدةً الألمان
هائمٌ قلبي بأعماق الحياة تائهٌ ، حيران

إنَّ للحب على الناس يداً تقصف الأعمار
وله فجرًا على طول المدى ساطع الأنوار

ثورة الشر ، وأحلامُ السلام ، وجمالُ النور
وابتسامُ الفجر في حزن الظلام ، في العيون الحور

مَآئِمُ الْحُبِّ

ليت شعري !

أَيُّ طَيْرٍ

يَسْمَعُ الْأَحْزَانَ تَبْكِي بَيْنَ أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ

ثُمَّ لَا يَهْتَفُ فِي الْفَجْرِ ، بِرَنَاتِ النَّحِيبِ

مُخْشِعٍ ، وَاكْتِنَابٍ ؟

لَسْتُ أَدْرِي

أَيُّ أَمْرٍ

أَخْرَسَ الْعَصْفُورَ عَنِّي ، أَتُرَى مَاتَ الشُّعُورُ

فِي جَمِيعِ السَّكُونِ ، حَتَّى فِي حُشَايَاتِ الطُّيُورِ ؟

أَمْ بِكَ خَلْفَ السَّحَابِ ؟

فِي الدِّيَاجِي

كَمْ أَنَا جِي

مَسْمَعِ الْقَبْرِ ، بِفَضَائِلِ نَحْيِي ، وَشَجَوْنِي

ثُمَّ أَصْنِي ، عَلَيَّ أَسْمَعِ تَرْدِيدِ أُنِينِي

فأرى صوتي فريد !

فأنا: _____ ادى :

« يا فـ_____ وادى »

« مات من تهوى ! وهذا الـاحد قد ضمَّ الحبيب »

« فابكٍ يا قلب بما فيك من الحزن المذيب »

« ابكٍ يا قلب ، وحيد ! »

ذلَّ قـ_____ بى ،

مات حـ_____ بى !

فاذرق يا مقلة الليل ، الدارِى عـ_____ رات

حول حـ_____ ، فهو قد ودَّع آفاق الحـ_____ اة

بهـد أن ذاق اللـهيب

وانـديـه _____ ه ،

واغـسـلـه _____ ه ،

بدموع الفجر ، من أكوـاب زهر الزـنبـق

وادفـنـه _____ ه بـجـلال ، فى ضفاف الشفق

ليرى روح الحبيب

الكاتب المجهول

أنا كئيب ،

أنا غريب ،

كأبى خالقت نظائرها

غريبة في عوالم الحزن

كأبى فكرة مفردة

مجهولة من مسامع الزمن

لكنى قد سمعت رنتها

بمهجتي ، في شبان النمل

سمعتها ، فأنصرفت مكتئبا

أشدو بحزنى ، كطائر الجبل

سمعتها — أنة يرجعها

صوت الليالى ، ومنهجة الأزل

سمعتها صرخة مضغضة

كجدول في مضايق السبل

سمعتها رنةً ، يمانقها

شوقٌ إلى عالم يضعضمها

ضعيفةً مثل أنةٍ صعدت

من مهجةٍ هدها توجعها

كآبةُ الناس شعلةً ، ومتى

مرت ليالٍ خبت مع الأمد

أما الكشابي فلوعة سكنت

روحي ، وتبقى بها إلى الأبد

أنا كئيب ، أنا غريب ،

وليس في عالم الكآبة من

يحمل معشار بعض ما أجد

كآبتي مرةً ، وإن صرخت

روحي فلا يسمعها الجسد

كآبتي ذات قسوةٍ صهرت

مشاعري في جهنم الآلم

لم يسمع الدهر مثل قسوتها

في يقظة قط ، لا ، ولا حلم

كَأَبَى شُعْلَةٌ مُؤَجَّجَةٌ ،
تَحْتَ رَمَادِ الْكَوْنِ تَسْتَعِيرُ
سَيَعْلَمُ الْكَوْنُ مَا حَقِيقَتُهَا
وَيَطْلُعُ الْفَجْرُ يَوْمَ تَنْفَجِرُ

كَأَبَى النَّاسِ شُعْلَةٌ ، وَمَتَى
مَرَّتْ لَيَالٍ خَبِثَ مَعَ الْأَمَلِ
أَمَا اكْتُمَأبِي فُلُوعَةٌ ، سَكَنْتِ
رُوحِي ، وَبَقِيَ بِهَا إِلَى الْأَبَدِ

أَيُّهَا اللَّيْلُ

أَيُّهَا اللَّيْلُ ! يَا أَبَا الْبُؤْسِ وَالْأَهْوَا
 لِ ، ! يَا هَيْكَلَ الْحَيَاةِ الرَّهِيْبِ !
 فَيْكَ تَجْمُوعُ عِرَاسِ الْأَمَلِ الْعَذِ
 ب ، تُصَلِّي بِصَوْتِهَا الْمَحْبُوبِ
 فَيُنِيرُ التَّشْيِيدُ ذِكْرِي حَيَاةَ
 حَبِيبَتِهَا غَيُومَ دَهْرٍ كَثِيبِ
 وَتَرْفُ الشَّجُونُ مِنْ حَوْلِ قَلْبِي
 بِسَكُونٍ ، وَهَيْبَةٍ ، وَقُطُوبِ
 أَنْتِ يَا لَيْلُ ! ذَرَّةٌ ، صَعِدَتْ لِلْسَّكُونِ ، مِنْ مَوَاطِئِ الْجَحِيمِ الْغَضُوبِ
 أَيُّهَا اللَّيْلُ ! أَنْتِ نَعْمَ شَجْوِي فِي شَفَاةِ الدَّهْرِ ، بَيْنَ الْفَحْشِيبِ
 إِنْ أَنْشُدَ السَّكُونُ ، الَّتِي تَرْتَجِ ، فِي صَدْرِكَ الرُّكُودِ ، الرَّحِيبِ
 تَسْمَعُ النَّفْسَ ، فِي هَدْوِ الْأَمَانِ رَنَةَ الْحَقِّ ، وَالْجَمَالَ الْخَلُوبِ
 فَتَصُوغُ الْقُلُوبُ ، مِنْهَا أَغَارِيدًا ، تَهْزُ الْحَيَاةَ هَزَّ الْخَطِّ—وَبِ
 تَقْلُوِي الْحَيَاةَ ، مِنْ أَلَمِ الْبُؤْسِ ، فَتَبْكِي ، بِلَوْنَةٍ وَحَمِيبِ
 وَعَلَى مِسْمَعِيكَ ، تَنْهَلُ نُوْحًا وَعَوِيلًا مُرًّا ، شَجُونِ الْقُلُوبِ
 فَأَرَى بَرَقَهَا شَفِيفًا ، مِنْ الْأَوْجَاعِ ، يُلْقِي عَلَيْكَ شَجْوَ الْكَثِيبِ
 وَأَرَى فِي السَّكُونِ أَجْنَحَةَ الْجَبَارِ ، مَخْضَلَةً بِدَمْعِ الْقُلُوبِ
 فَلَكَ اللَّهُ ! مِنْ فَوَادِ رَحِيمِ وَلَكَ اللَّهُ ! مِنْ فَوَادِ كَثِيبِ
 يَهْجَعُ السَّكُونُ ، فِي طَمَأْنِينَةِ الْعَصْفُورِ ، طِفْلًا بِصَدْرِكَ الْغَرِيبِ
 وَبِأَحْضَانِكَ الرَّحِيمَةِ يَسْتَيْقِظُ ، فِي نَضْرَةِ الضَّحُوكِ ، الطَّرُوبِ

دَارُ الْكِتَابِ وَالْحَقَائِقِ
 دَارُ الْكِتَابِ وَالْحَقَائِقِ



شادياً ، كالطيور بالأمل العذ ب ، جميلاً ، كهجة الشؤبوب
يا ظلام الحياة ! ياروعة الحزن ! ويا معزف التعميس الغريب
إن في قلبك الكئيب ، لمرتاداً لأحلام كل قلب كئيب
وبقيثارة السكينة ، في كفيك — ك ، تنهل رنة المكروب
فيك تغموز نابق الحلم العذ ب ، وتذوي لدى لهيب الخطوب
خلف أعمقك الكئيبة تنسا ب ظلال الدهور ، ذات قطوب
وبفؤديك ، في صفائك الس — ود ، تدب الأيأم أي ديب

صاح ! إن الحياة أنشودة الحزن ن ، فرتل على الحياة نحبي
إن كأس الحياة مترعة بالدم مع ، فاسك على الصباح حبيبي
إن وادي الظلام يطفح بالهو ل ، فما أبعد ابتسام القلوب !
لا يفرئك ابتسام بني الأر ض خلف الشعاع لذع اللهب
أنت تدري أن الحياة قطو ب وخطوب ، فما حياة القطوب ؟
إن في غيبة الليالي ، تماعا لخطيب يمر إثر خطوب

سددت في سكينة الكون ، للأعما ق ، نفسي لحظا بعيد الرؤوب
نظرة مزقت شغاف الليا لي فرأت مهجة الظلام الميوب
ورأت في صميمها ، لوعة الحزن ن ، وأصفت إلى صراخ القلوب
لا تحاول أن تنكر الشجو ، إني قد خبرت الحياة خبر لبيب

فتبرمتُ بالسكينة والضجّة ، بل قد كرهتُ فيها نصيبي ...
 كن كما شئت السماء كئيّباً أيُّ شيء يسر نفس الأريب ؟
 أنفوسٌ تموت ، شاحصةً بالهو ل ، في ظلمة القنوط العصيب ؟
 أم قلوبٌ محطّاتٌ على ساحلٍ حجّ الأسى ، بموج الخطوب ؟
 * إنما الناس في الحياة طيورٌ قد رماها القضا بواد رهيب
 * يعصف الهولُ في جوانبه السو د فيقضى على صدّى العندليب

قد سألتُ الحياة عن نعمة الفجر ، وعن وَجْهة المساء القطوب
 فسمعتُ الحياة ، في هيكل الأحرار ن ، تشدو بلحنها المحبوب :
 ما سكوتُ السماء إلا وجومٌ ما نشيد الصباح غير نحيب .
 « ليس في الدهر طائرٌ يتغنّى في صفاف الحياة غير كئيّب
 خضّب الا كئيباً أجنحة الأيا م ، بالدمع ، والدم الأسكوب
 وعجيبٌ أن يفرح الناس في كهف الليالى ، بحزنها المشبوب !

كنت أرنو إلى الحياة بلحظٍ باسم ، والرجاء دون لغوب
 ذاك عهد حسبه بسمّة ال فجر ، ولكنّه شعاع الغروب
 ذاك عهد ، كأنّه رنة الأفرا ح ، تنساب من فم العندليب
 خففت — ريثما أصحّت لها بالقد ب ، حيناً — وبُدّلت بفحيب

إن خمر الحياة وردية اللون ، ولكنها ممام القلوب

جرفت من قراره القلب أحلا مى ، إلى اللحد ، جائزات الخطوب
فتلاشت على تخوم اللىالى وتهاوت إلى الجحيم الغضوب
وثوى فى دُجَّة النفس ، ومضَّ لم يزل بين جيئة ، وذُهب
ذكريات تُميس فى ظلمة النف — س ، ضمَّلا ، كرائعات المشيب

٨ يالقلب تجرع اللوعة المرّة من جدول الزمان الرهيب !
ومضت فى صميمه شُعلة الحزن ، فمشتة من شعاع الهميب ...

شكوى لينيم

على ساحل البحر، أتي يضجُ ضراخُ الصباح ونوحُ المساء
تنهدتُ، من مهجة أترعت بدمع الشقاء وشوك الأسمى

فضاع التنهد في الضجة

بما في ثنياه من لوعة

فسرت وناديت: «يا أم! هيا

إلى! فقد سئموني الحياء»

وجئت إلى الغاب، أسكب أوجاع قلبي نحيباً، كلفح اللهب

نحيباً تدافع في مهجتي، وسال يرئ بدب القلوب

فلم يفهم الغاب أشجانه

وظلَّ يرَدِّد الحـانـه

فسرت وناديت: «يا أم! هيا

إلى! فقد عذبتني الحياء»

«وقتُ على النهر، أهرق دمعاً تفجّر من فيض حُزنى الأليم

يسيرُ بصمتٍ على وختيَّ ويلمع مثل دموع الجحيم

فما خففَ النهرُ من عدوه

ولا سكت النهرُ عن شذوه

فسرتُ، وناديتُ : «يا أمّ! هيا
إلى ! فقد أضجرتني الحياة»

ولما نذبتُ ولم ينفع .
وناديتُ أمي فلم تسمع .
رجعتُ بحزني إلى وحدتي .
وردّدتُ نوحِي على مسمعي .
وعانقتُ في وحدتي نوعتي .
وقلتُ لنفسِي : «ألا فاسكتي !»

الزنبقة الذاتية

أزنبقة السفح ؟ مالى أراكِ تعانقكِ اللوعة القاسية ؟
 أفى قلبك الغضُّ صوتُ الالهيب ، يرتلُ أشودة الهاوية ؟
 أأسمعكِ الليلُ ندبَ القلوب أأرشفكِ الفجرُ كأسَ الأسى ؟
 أصبَّ عليكِ شمعُ الغروب نجمِ الحياة ، ودمعَ المساء ؟
 أأوقفكِ الدهرُ حيثُ يُنجدُّ رُنوحُ الحياة صدوعَ الصدور ؟
 ويندبُكِ الليل طيفاً ، كئيباً رهيباً ، ويخفقُ حزنُ الدهور ؟

إذا أضجرتكِ أغاني الظلام فقد عذَّبني أغاني الوجوم
 وإن هجرتكِ بناتُ الفيوم ، فقد عانقني بنات الجحيم
 وإن سكب الدهر في مسمعكِ نحيبَ الدجى ، وأنينَ الأمل
 فقد أجج الدهر في مهجتي شواظاً من الحزن المشتعل
 وإن أرشفتكِ شفاءُ الحياة رُصابَ الأسى ، ورحيقَ الألم
 فإني تجرعتُ من كنفها كؤوساً ، مؤجَّجةً ، تضطرم

أصيحى ! فما بين أعشار قلبي يرفّ صدى نوحكِ الخافت

معيّداً على مهجتي بحفيف جناحيه صوت الأسي المائت
وقد أترع الليلُ بالحب كأيّ وشعشعها بلهيب الحياة
وجرّ عني من ثلّاته صرارة حزنٍ ، تذيب الصفاء
إلى ! فقد وحدت بيننا قساوة هذا الزمان الظلوم
فقد فجّرت في هذي الكلام كما فجّرت فيك تلك الكلام

وإن جرفني أ كف المنون إلى اللحد ، سحقته الخطوب
فحزني وحزنك لا يرحان أليفين رغم الزمان العصيب
وتحت رواق الظلام الكئيب إذا شمل السكون روح السحر
سيسمع صوت ، كلحن شجيّ تطاير من حقائق الور
يردّده حزننا في سكون على قبرنا ، الصامت المنطق
فترقد تحت التراب الأصمّ جميعاً على نعمات الحزن

شِعْرِي ١٧

شعري نَفَاثَة صدرى إن جاش فيه شعورى
لولا ما انجاب عني غيمُ الحياة الخطير
ولا وجدتَ اكتباني ولا وجدتَ سرورى
به ترانى حزيناً أبكى بدمع غزير
به ترانى طروباً أجر ذيل حُبورى

لا أنظم الشعرَ أرجو به رضا الأُمير
بمدحـة أو رثاء تُهدى لرب السـير
حسبى إذا قلتُ شعرا أن يرتضيه صـمير

ما الشعر إلا فضاء يَرِفُ فيه مقالى
فيما يسرّ بلادى وما يسرُّ المعالى
وما يثير شـعورى من خافقات خيالى

لا أقرض الشعر أبغى به اقمناص نوال
الشعر إن لم يكن فى جماله ذا جلال

فأنت — ا هو طيف يسعى بوادي الظلال
يقضي الحياة طريداً في ذلة ، واعتزال

يا شهر ! أنت ملاكي وطاري ، وتلادي
أنا إلى — لك مُراد وأنت نعم مرادي
قف ، لا تدعني وحيداً ولا أدعك تنادي
فهل وجدت حُساماً يُنَاط دون نجاد

كم حطّم الدهرُ ذاهبةً كثيرَ الرّماد
ألقاه تحت نعالٍ من ذلّةٍ و — داد
رفقاً بأهل بلادِي ! يا منجنون العوادي

يَا شَعْرُ

يا شعرُ أنتَ فمُّ الشَّعورِ ، وصرخةُ الروحِ الكئيبِ
 يا شعرُ أنتَ صدى نحيبِ القلبِ ، والصبِّ الغريبِ

 يا شعرُ أنتَ مدامُ عِلقتُ بأهدابِ الحياةِ
 يا شعرُ أنتَ دمٌ ، تفجّرُ من كلِّومِ الكائناتِ

 يا شعرُ ! قلبي — مثلها تدرى — شقيٌّ ، مظلمٌ
 فيه الجراحُ ، النجلُ ، يقطرُ من مغاورها الدمُ

 جئتُ على شفتيه أرزاءَ الحيةِ العابسةِ
 فهو التمسيسُ ، يذّيبه نوحُ القلوبِ البائسةِ

 أبداً ينوحُ بحرقةٍ ، بين الأمانى الهاويةِ
 كالبلبلِ الفريدِ ما بين الزهـورِ — والداويةِ

 كمُ قد نصحتُ له بأن يسلو ، وكمُ عزيتُ —
 فأبى ، وما أضغى إلى قولي ، فما أجديته

 كم قلتُ : « صبراً يا فؤادُ ! ألا تكفُّ عن النحيبِ ؟ »
 « فإذا تجلّدت الحيةُ تبتدأتُ شعلُ اللهيبِ »

« يا قلب ! لا تجزع أمامَ تصلَّبِ الدهرِ المصورِ »

« فإذا صرختَ توجُّعا هزئتَ بصرختكِ الدهورِ »

« يا قلب ! لا تسخطِ على الأيامِ ، فالزهرُ البديعُ »

« يصفى لضجَّاتِ العواصفِ قبل أنْسامِ الربيعِ »

« يا قلب ! لا تقنعْ بشوكِ اليأسِ من بينِ الزهورِ »

« فوراءِ أوجاعِ الحياةِ — مذوبةُ الأملِ الجسورِ »

« يا قلب ! لا تسكبِ دموعكِ بالفضاءِ فتندمِ »

« فعلى ابتساماتِ الفضاءِ — قساوةُ المتهمِّمِ »

لكنَّ قلبي — وهو مُخضِّلُ الجوانبِ بالدموعِ —

جاشتْ به الأحرانُ ، إذ طفحتْ بها تلكِ الصدوعِ

يبكى على الح — لم البعيدِ بلوعةٍ ، لا تنجلي

غردًا ، كصدَّاحِ الهواتفِ في الفلا ، ويقول لى :

« طهَّرْ كلومكِ بالدموعِ ، وخلصها ، وضيئها »

« إنَّ المدافعَ لا تضيقُ حقيرها وجليلها »

« فَمِنْ المدامعِ ما تدفعُ جارقًا حَسَكِ الحياةِ »

« يرمى لهاويةِ الوجودِ بكلِّ ما يبني الطغاةُ »

« ومن المدامع ما تألّق في الغياهب كالنجوم »

« ومن المدامع ما أراح النفس من عبء الموم »

فأرحم تعاسته ، ونُح معه على أحلامه
فلقد قضى الحـلم البديعُ على لظى آلامه

يا شعر ! يا وحيَ الوجودِ الحى ، يالفةَ الملائك
غرّدت ، فأبّأى أنا تبكى على إيقاع نائك

ردّد على سمع الدجى أناتِ قلبى الواهية
واسكب بأحضان الزهر دموعَ قلبى الدامية

فلعلّ قلب الليل أرحم بالقلوب الباكية
ولعلّ جفن الزهر أحفظ للدموع الحارية

كم حرّكت كفّ الأسى أوتارَ ذيّاك الحنين
فتهاملت أحزانُ قلبى فى أغاريد الأنانين

فلنكمّ أرقّت مدامعى ، حتى تقرّحت الجفون
ثمّ التفتُ ، فلم أجد قلباً يقاسمنى الشجون

فعسى يكون الليل أرحم ، فهو مثلى يندب
وعسى يصون الزهر دمعى ، فهو مثلى يسكب

قد قنّعتْ كَفُّ المساءِ الموتَ بالصَّمتِ الرهيبِ ،
فهدا كأعماقِ الكهوفِ ، بلا ضجيجٍ أو وجيبِ

يأتى بأجنحة السكون ، كأنه الليل البهيم
لكن طيفَ الموتِ قاسٍ ، والدجى طيفٌ رحيم

ما للنية لا ترقُ على الحياة الفأخه ؟
سَيَّانَ أفئدة تنن ، أو القلوب الصـادحة

يا شعراً ! هل خَلَقَ المَنونُ بلا شعورٍ كالجماد ؟
لا رِعدة تعرف يدَيْه إذا تملَّقه الفؤاد ؟

أرأيتَ أزهارَ الربيع ، وقد ذوت أوراقها
فهمت إلى صدر التراب ، وقد قضت أشواقها ؟

أرأيتَ شحورَ الفلا ، مترعاً بين الغصون
جهد النشيدُ بصدره ، لما رأى طيفَ المنون ؟

فقضى ، وقد غاضت أغاريدُ الحياة الطاهرة
وهوى من الأغصان ، ما بين الزهور الباسرة ؟

أرأيتَ أمَّ الطفل تبكى ذلك الطفلَ الوحيد
لما تناوله ، بعنفٍ ، ساعدُ الموت الشديد ؟

أَسْمَعْتُ نَوْحَ الْعَاشِقِ الْوَلْهَانِ ، مَا بَيْنَ الْقُبُورِ
يَبْكِي حَبِيبَتَهُ ؟ فَيَا لِمِصْارِعِ الْمَوْتِ الْجَسُورِ !

طَفَعْتُ بِأَعْمَاقِ الْوُجُودِ سَكِينَةً الصَّبْرِ الْجَلِيدِ
لَمَّا رَأَى عَدْلَ الْحَيَاةِ يَضُمُهُ الْإِحْدُ الْكَنُودِ

فَدَفَقْتُ لِحَنًا ، يَرُدُّهُ عَلَى سَمْعِ الدَّهْرِ
صَوْتُ الْحَيَاةِ بِضَجَّةٍ . . . ، تَسْعَى عَلَى شَفَةِ الْبَحْرِ

يَا شَعْرُ ! أَنْتَ نَشِيدُ أَمْوَاجِ الْخَضَمِ السَّاحِرِ
الْفَاصِعَاتِ ، الْبَاسِمَاتِ ، الرَّاقِصَاتِ ، الطَّاهِرَةِ

السَّافِرَاتِ ، الصَّادِحَاتِ مَعَ الْحَيَاةِ إِلَى الْأَبَدِ ؟
كَهْرَاسِ الْأَمَلِ الضَّحُوكِ ، يَمَسِّنَ مَا طَالَ الْأَمَدُ

هَا إِنْ زَهَرَ الرَّبِيعُ تَبَسَّمَتْ أَكْثَامُهَا
تَرْنُو إِلَى الشَّقَقِ الْبَعِيدِ ، تَفْرُهَا أَحْلَامُهَا

فِي صَدْرِهَا أَمَلٌ ، يَحْدَقُ نَحْوَ هَاتِيكَ النُّجُومِ
لَكِنَّهُ أَمَلٌ ، سَقَلَحْدَهُ جَبَابِرَةُ الْوُجُومِ

فَلَسَوْفَ تَغْمُضُ جَفْنَهَا ، عَنْ كُلِّ أَضْوَاءِ الْحَيَاةِ
حَيْثُ الظُّلَامُ مُخَيِّمٌ فِي جَوْ ذِيكَ السَّبَاتِ

ها إنها همست بأذان الحياة غريدها
قتلت عصافير الصباح ، صداحها ونشيدها

يا شعرُ ! أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمة
يا ليتنى مثل الزهور ، بلا حياة واجه

إن الحياة كثيفة ، مغمورة بدموعها !
والشس أضجرتها الأسى ، في صوحها وهجوعها

فمجرعت كأساً دهاقاً ، من مُشعشة الشَّق
فمايلت ، سكرى إلى كهف الحياة . . ولم تقف

يا شعرُ ! أنت نحيبها لما هوت لسيانها
يا شعرُ أنت صداحها ، في موتها وحياتها

انظر إلى شفق السماء ، يفيض عن تلك الجبال
بشعاعه الخلاب ، يغمرها ببسات الجبال

فيثير في النفس الكئيبة عاصفا لا يركد
ويؤجج القلب المعذب شملة لا تخمد

يا شعرُ ! أنت جمال أضواء الغروب الساحرة
يا همس أمواج المساء ، الباسمات الحائرة

يا ناي أهدني الحبيبة ! يا رفيق صباي
لولاك مت بلوعي ، وبشــــــــــــــــقوتي ، وكآبتي
فيك انطوت نفسي ، وفيك نفخت كل مشاعري
فاصدق على فم الحبيبة بلوعي ، يا طأري

زَيْدُ الْعَاصِفَةِ

تسألني : « مالى سكت ، ولم أهب بقوى ، وديجور المصائب مظلم »
 « وسيل الرزايا جارف ، متدفع غضوب ، ووجه الدهر أربد ، أقم ؟ »

سكت ، وقد كانت قناتي غضة تصيح إلى همس النسيم ، وتحلم
 وقت ، وقد أصغت إلى الريح مرة فجاش بها إعصاره المتهمز
 وقت وقد جاش القريض بخاطري كما جاش صخاب الأواذي ، أسحم :

« أرى المجد معصوب الجبين مجذلاً على حَسَكِ الآلام ، يغمره الدم »
 « وقد كان وصاح الأسارى ، باسماً يهب إلى الجلى ، ولا يتبرم »

« فيا أيها الظلم المصمّر خذهُ رويدك ! إن الدهر يبني ويهدم »
 « سيثار للعز الحطم تاجه رجال إذا جاش الردى فهمهم »
 « رجال يرون الذل عاراً وسبة ولا يزهبون الموت ، والموت مقدم »
 « وهل تعلى إلا نفوس أبيّة تصدّع أغلال الهوان ، وتحطم »

إِلَى الطَّلْحِيَّةِ

يقولون : « صوت المستذللين خافتُ
وفي صبيحة الشعب المسخر زعرعُ
ولملة الحق القضوب لها صدی
إذا التفت حول الحق قوم فإنه »
وسمع طغاة الأرض (أطرش) أضخمُ
تخرُّ لها — أشم العروش ، وتهدمُ
ودممة الحرب الضروس لها فمُ
يهرمُ أحداث الزمان ويبرمُ

لك الويل يا صرح المظالم من غدٍ
إذا حطم المستبدون قيودهم
أغرَّك أن الشعب مُفضٍ على قذی
ألا إن أحلام البلاد دفينه
ولكن سيأتي بعد لأيٍ نشورها
هر الحق يُفنى . . ثم ينهض ساخطا
غدا الرُّوع ، إن هبَّ الضعيفُ ببأسه ،
إلى حيث تجنى كفه بذر أمسه
ستجرع أوصاب الحياة ، وتمتشي
إذا ماسفأك الدهر من كأسه التي
إذا صعق الجب — ارتحت قيوده
وإنهض المستضعفون ، وصمموا !
وصبُّوا السخط أيان تعلم . . !
وأنَّ القضاء الرُّعبَ وسنانُ ، مظلم ؟
تجمجم في أعماقها ما تجمجم
وينبثق اليه — وم الذي يترنم
فيهدمُ ماشاد الظلام (١) ، ويحطمُ
ستعلم من منّا سيجرفه الدَّمُ
ومُردِّعُ الأوجاع لا بد ينهدمُ
فتصفي إلى الحق الذي يتكلم
قرارتها صابَّ مَريرٌ ، وعلقمُ
يصيخ لأوجاع الحياة ، ويفهم !

(١) الظلام — بكسر الظاء : الظلم

السَّامَةُ

سَمْتُ الحَيَاةَ ، وما فى الحَيَاةِ وما إن تجاوزتُ فجرَ الشبابِ
سَمْتُ اللِّمَالِ ، وأوجاعَها وما شَعَشَعْتُ من رحيقِ بصيرابِ
خَطَمْتُ كَأْسِي ، وألقيتها بوادى الأسمى ، وجحيمِ العذابِ
فَأَنَّتْ ، وقد غمرتها الدموع وقرتْ ، وقد فاض منها الحبابِ
وألقى عليها الأسمى ثوبه وأقبرَ العصمتُ والإكتمابِ

* فأين الأمانى وألحــــــــــــــــــــــــــــــــانها ؟ وأين الكؤوس ؟ وأين الشرابِ
لقد سحقتها أكفُ الظلام وقد رشقتها شفاءُ السرابِ

فما العيش فى حومةٍ بأُسُها شديدٌ ، وصدّاحها لا يُجابِ
كثيبٌ ، وحيــدٌ بآلامه وأحلامه ، شدوهُ الانتحابِ
ذواتٌ فى الريةــع أزاويرها فَنَمَنَ ، وقد مصَّهَنَ الترابِ
لَوَيْنَ اللهُــحورَ على ذِلَّةِ ومُتَنَ ، وأحلامهنَّ العذابِ
فَحَالَ الجِمالُ ، وغاض العبيرُ وأذوى الرَدَى سحرهُنَّ العُجابِ

الحُبُّ

الحُبُّ شُعْلَةُ نَوْرِ سَاحِرٍ ، هَبَطَتْ من السماء ، فكانَتْ ساطِعَ الفَلَقِ
ومزَّقَتْ عن جفونِ الدَّهْرِ أَغْشِيَةَ وعن وجوه الليالي بُرْقَعَ الفسَقِ
الحُبُّ رُوحُ إلهيٍّ ، مَجْنَحُهُ أيامه يبيضُ الفجرَ والشفقِ
يطوفُ في هذه الدنيا ، فيجعلها نجماً ، جميلاً ، ضحوكاً ، جدِّ مؤتلقِ
لولا ما سُمِعَتْ في السكونِ أَغْنِيَةُ ولا تآلفَ في الدنيا بَنُو أَفُقِ
الحُبُّ جَدُولُ خمرٍ ، من تذوقه خاض الحميمَ ، ولم يُشْفِقْ من الحرقِ
الحُبُّ غاية آمالِ الحياة ، فما خوْفِي إذا ضَمَّنِي قَبْرِي ؟ وما فَرَقِي ؟

أَبْهَكَ الحُبُّ

أَيُّهَا الحُبُّ ! أَنْتَ سرُّ بِلَائِي وهمومي ، وروعتي ، وعنائي
ونحولي ، وأدْمي ، وعَذَابِي وسقامي ، ولوعتي ، وشقائي

أَيُّهَا الحُبُّ ! أَنْتَ سرُّ وجودِي وحياتي ، وعزِّي ، وإبائي
وشعاعي ما بين ديجورِ دهرِي وألْيفِي ، وقُرَّتِي ، ورجائي

ياسلاف الفؤاد ! ياسم نفسي في حياتي ياشدتي ! يارخائي !
ألهيب يثور في روضة النفس ، فيطغى ، أم أنت نور السماء ؟

أيها الحب قد جرعت بك الحزن ن كؤوسًا ، وما اقتنصت ابتغائي
فبحق الجمال يا أيها الحب حنانيك بي ! وهون بلائي

ليت شعري ! يا أيها الحب ، قل لي : من ظلام خلقت ، أم من ضياء ؟

الدموع

ينقضي العيش بين شوق ويأس والني بين لوعة وتأس
هذه سُنَّةُ الحياة ، ونفسي لا تودُّ الرقيق في كأس رجس
مُلِي الدهر بالخداع ، فكم قد ضلَّ الناس من إمام وقس
كلما أسأل الحياة عن الحق تكفُّ الحياة عن كل همس
لم أجد في الحياة لحنًا بديعًا يستقيني سوى سكينته نفسي
فسئمت الحياة ، إلَّا غرارًا تتلاشى به أناشيدُ يأس

ناولتني الحياة كأسًا دهاقا بالأمانى ، فما تناولت كأسى

وسقني من القعاسة أكواباً تجرعتها ، فيأشدد تعسى !
 إن في روضة الحياة لأشواكاً ———— مزقت زنايق نفسي

ضاع أمسى ! وأين منى أمسى ؟ وقضى الدهر أن أعيش بيأسى
 وقضى الحب في سكون مرعب ساعة الموت بين سخط وبؤس
 لم تخلف لي الحياة من الأمس سوى لوعة ، تهب وترمى
 متهادى ما بين غصات قلبي بسكون وبين أوجاع نفسي
 كخيال من عالم الموت ، ينساب بصمت ما بين رمس ورمس
 تلك أوجاع مهجة ، عذبتها في جحيم الحياة أطياف نحس

أَغْنِيَهُ الْإِحْرَانُ

غنى أنشودة الفجر الضحوك
 أيها الص——داخ !
 فلقد جرّعتي صوت الظلام
 ألماً علمني كره الحياة
 إن قلبي ملّ أصداء النواح
 غنى ، يا ص——اخ !

حطمت كف الأسى قيثارتى
فى يد الأحلام
فقضت صمتا ، أناشيدُ الفرام
بين أزهار الحريف الداوية
وتلاشت فى سكون الاكتئاب
كصدى الفريد

كف عن تلك الأغاني الباسمة
أيها العصفور !
فحياتي ألقت الحزن الأسمى
من زمانٍ قد مضى ، وعسى
أن يثير الشدو ، فى صمت الفؤاد
أنة الأوتار !

لا تعيننى أغاريد الصباح
بلبل الأفراح !
ففؤادى وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستهويه ألحان السرور
وأغاني النور

إِنَّ مَنْ أَصْفَى إِلَى صَوْتِ الْمَنُونِ
وَصَدَى الْأَجْدَاثِ

لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ الطُّيُورِ
بَيْنَ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ السَّاحِرَةِ
وَابْتِسَامَاتِ الْحَيَاةِ ، السَّافِرَةِ
عَنْ جَلَالِ اللَّهِ !

غَنَى بِاصْبَاحٍ ! أَنْتَ الْجَحِيمُ
وَاسْقِنِي الْإِلَامَ

أُتْرِعَ الْكَأْسَ بِأَوْجَاعِ الْهَمِّومِ
وَاسْقِنِي ، إِنِّي كَرِهْتُ الْإِبْتِسَامَ
غَنَى نَدْبَ الْأُمَانِي الْخَائِبَةِ

وَاللَّيَالَى السَّوْدَ

غَنَى صَوْتِ الظَّلَامِ الْمَكْتُوبِ
إِنَّنِي أَهْـوَاهُ

هَآكَ كَأْسُ الْقَلْبِ فَاْمَلَأْهَا نَوَاحٍ
وَاسْكَبِ الْحُزْنَ بِهَا حَتَّى مَصْبَاحٍ !
إِنَّهَا مِنْ طَيِّفَةِ الْحُزَنِ الْمَرِيرِ
صَاغَهَا الْخَلَّاقُ

بُست الأفراح ، أفراح الحياة

إنها أحلام

تخلب اللب بألحاف عذاب

وأغاريد ، كأملك السما

ثم لا تلبث أن تذوى كما

تذبل الأزهار

خبرني ، ما الذي خلف الغيوم...

ربة الأحزان

أفتى المول ، وجبار الموم ؟

أم عروسُ الأمل العذب الشرود

تهادى بين لألاء الصباح ؟

كملاك الفـور

أنا في درب الحياة الغامضة

قائه ، حيران

بينما أبصر في وجه الحياة

ظلمة الأحزان في ظل الألم

إذ أرى في جفنها نوراً ، بديع
باسما ، فتَّانُ

ها أنا أسمع في قلب الحياة
صيحة الآلام
مرّة تنساب ، من قلب عظيم
ملاً الحزنُ أفاصيه دموع
ها أنا أسمع أصوات السرور
كضّاتِ الألام

المجد

يودُ الفتي لو خاض عاصفة الردى وصدَّ الخميسَ المجرَّ ، والأسدَ الوردا
ليدركَ أمجادَ الحروب ، ولو درى حقيقةَ مارام من بينها مجدا
فما المجد في أن تُسكرَ الأرض بالدماء وتركبَ في هيجائها فرسا نهدا
ولكنه في أن تصدَّ بهمةٍ عن العالم المرزوء ، فيضَ الأسى صدا

سرُّ مع الدهر

سر مع الدهر ، لا تصدِّئك الأهوال ، أو تفرِّعنَّكَ الأحداثُ
سر مع الدهر ، كيفما شاءت الدنيا ، ولا يخذعنَّكَ الفقاثُ
فالذى يهربُ الحياةَ شقًى ، سخرتْ من مصيره الأحداثُ

الذِّكْرَى

كُنَّا كزوجي طائر ، في دوحة الحب الأمين
نقل أناشيد المنى بين الخمائل والفصـون
مقتردين مع البلال في السهول وفي الحزون
ملاً الهوى كأس الحياة لنا ، وشعشعها الفتون
حتى إذا كدنا نرشف خمرها ، غضب المنون
فتخطف الكأس الخلوب ، وحطم الجلام الثمين
وأراق خمر الحب في وادي السكابة والأنين
وأهاب بالحب الوديع ، فودّع العش الأمين
وشدا بلحن الموت في الأفق الحزين المستكين
ثم اختفى خلف الغيوم ، كأنه الطيف الحزين . . .

* * *

يا أيها القلب الشجي ! إلام تحرسك الشجون
رحماك قد عذبتني بالصمت والدمع المتهون

مات الحبيب ، وكل ما قد كنت ترجو أن يكون !
فاصبرْ على سخط الزمان ، وما تصرفه الشئون
فلسوفَ يُنقذك للمنون ، ويفرح الروح السجين . . .

ورِدْ الحياة مُرْتَقً ، والموت موردَه معين
ولربّما شاق الردى الداجي ، وأعماقُ المفون
قلبا ، تروّعه الحياة ، ولا تهاده السّنون
ومشاعرا حسرى ، يسيرُ بها القنوط إلى الجنون

مَنَاجَاهُ عَصْفُورٍ

يا أيها الشادى المفرد ها هنا
 متنقلاً بين الخائل ، تاليا
 غرّد ، فى تلك السهول زنابق
 غرّد ، فى قلبى إليك مودّة
 هجرته أسراب الحائم ، وأنبرت
 غرّد ، ولا تهرب يمينى ، إننى
 لكنّ لقد هاض التراب ملامى
 أشدو برنات النياحة والأسى
 غرّد ، ولا تحفل بقلبى ، إنه
 ثملاً بغبطة قلبه المسرور
 وحنّ الربيع الساحر المسحور
 تنو إليك بناظر منظور
 لكن مودّة طائر مأسور
 لعذابه جنيّة الديجور . . .
 مثل الطيور بمهجتى وضميرى
 فلبثتُ مثل البلبل المكسور
 مشبوبة بعواطفى وشعورى
 كالمرزف ، المتحطّم ، المهجور

* * *

وتلّ على سمع الربيع نشيده
 وانشد أناشيد الجمال ، فإنها
 أنا طائر ، متفرّد ، مترنّم
 يحتاجنى صوت الطيور ، لأنّه
 ما فى وجود الناس من شيء به
 فإذا استمعت حديثهم ألقىته
 وإذا حضرت جموعهم ألقىتني
 واصدح بفيض فؤادك المسحور
 روح الوجود ، وسلوة المقهور
 لكن بصوت كآبى وزفيرى
 متدفّق بحرارة وطهور
 يرضى فؤادى أو يسرّ ضميرى
 غنا ، يفيض بركة وفتور
 ما بينهم كالبلبل المأسور

مقوَّحًا بمواطني ، ومشاعري ،
يَذْنُبُنِي حَرَجُ الحَيَاةِ كَأَنِّي
فَإِذَا سَكْتُ تَضَجُّرُوا ، وَإِذَا نَطَقْتُ
أَمِ مِنْ النَّاسِ الَّذِينَ بَلَّوْهُمْ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا خِمِثٌ غَادِرٌ
وَيُودُّ لَوْ مَلَكَ الوجودَ بِأَسْرِهِ
لَيْمَلَّ غَلَّتِهِ التي لَا تَرْتَوِي
وَإِذَا دَخَلْتُ إِلَى الْبِلَادِ فَإِنْ أَفْكَأَ
حَيْثُ الطَّبِيعَةُ حُلَّةً قَتَانَةً
مَاذَا أَوْدُ مِنْ الْمَدِينَةِ ، وَهِيَ غَارِقَةٌ
مَاذَا أَوْدُ مِنْ الْمَدِينَةِ ، وَهِيَ لَا
مَاذَا أَوْدُ مِنْ الْمَدِينَةِ ، وَهِيَ لَا
مَاذَا أَوْدُ مِنْ الْمَدِينَةِ ، وَهِيَ مُرْتَادٌ
وخواطري ، وكأبتي ، وسروري
مِنْهُمْ بُوْهْدَةٌ جَنْدَلٌ وَصُخُورٌ
تَذْمَرُوا مِنْ فِكْرَتِي وَشَعُورِي
فَقَلَّوْهُمْ فِي وَحْشَتِي وَحُبُورِي !
مَتَرَبَّصٌ بِالنَّاسِ شَرٌّ مُصِيرٌ
وَرَمَى الْوَرَى فِي جَا حَمٍ مُسْجُورٍ
وَيَكْضُ نَهْمَةً قَلْبِهِ الْمَغْفُورِ
رَى تَرْفُفٍ فِي سَفُوحِ الطُّورِ
تَحْتَالُ بَيْنَ تَبْرِجٍ وَسُفُورِ
بِمَوَارِدِ الدَّمِ الْمَهْدُورِ ؟
تَرْتِي لَصَوْتِ تَفْجُخِ الْمَوْتُورِ ؟
تَعْنُو لَغَيْرِ الظَّالِمِ الشَّرِيرِ ؟
لِكُلِّ دَعَارَةٍ وَخُجُورِ ؟

يَا أَيُّهَا الشَّادِي الْمَغْرُدُ هَا هُنَا
قَبْلُ أَزَاهِيرِ الرَّبِيعِ ، وَغَنِّهَا
وَاشْرَبْ مِنَ النَّبْعِ ، الْجَمِيلِ ، الْمَلْتَوِي
وَاتْرِكْ دُمُوعَ الْفَجْرِ فِي أَوْرَاقِهَا
فَلَرَبَّمَا كَانَتْ أُنَيْنَا صَاعِدَا
ذَرْفَتِهِ أَجْفَانُ الصَّبَاحِ مَدَامَعَا
ثَمَلًا بَغِيظَةً قَلْبِهِ الْمَسْرُورِ !
رَمَ الصَّبَاحُ الضَّاحِكُ الْحَبُورِ
مَابِينَ دَوْحِ صَنْوَبِرٍ وَغَدِيرِ
حَتَّى تُرَشِّفَهَا عُرُوسُ النُّورِ
فِي اللَّيْلِ مِنْ مَتَوَجِّعٍ ، مَقْهُورِ
أَلَاقَةٍ ، فِي دُوْحَةٍ وَزَهْوَرِ . . .

الطفولة

لله ما أحلى الطفولة ! إنها حلم الحياة
عهدٌ كمعسول الرؤى ما بين أجنحة السبات ...
ترنوا إلى الدنيا ، وما فيها بعين باسمه
وتسير في عذرات واديها بنفس حامله ...

* * *

إن الطفولة تهترئ في سرقاب الربيع
ريانةً من ريق الأنداء في الفجر الوديع
غنت لها الدنيا أغاني حبها وحبورها
فتأودت نشوى بأحلام الحياة ونورها

* * *

إن الطفولة حقبةٌ شمسيةٌ بشعورها
ودموعها ، وسرورها ، وطموحها ، وغورها
لم تمش في دنيا الكآبة ، والتعاسة ، والعباد
فترى على أضوائها ما في الحقيقة من كذاب

فَالْأَيَّامُ

يا أيها السادر في غيِّه !
يا واقفاً فوق حطام الجباه !
مهلاً ! ففي أنات من دستهم
صوت رهيبٌ سوف يدوى صدهاء ...

لا تأمننَّ الدهر ، أما غفلاً
في كهفه الداجي ، وطالت رؤاه
فإن قضى اليومُ وما قبله
ففي الغد الحى صباحُ الحياة

يا أيها الجبار ! لا تزدري
فالحق جبارٌ ، طويل الأناة
يغنى ، وفي أحفانه يقظة
ترنو إلى الفجر الذي لا تراه ...

المساء الحزين

أظَلَّ الوجودَ المساءَ الحزينَ ، وفي كفه معزف لا يُبينُ
وفي ثغره سمات الشجون ، وفي طرفه حسرات السنين
وفي صدره لوعة لا تَقَرُّ ، وفي قلبه صعقات المنون
وقبَّله قبلاً صامتات ، كما يلثمُ الموتُ وَرَدَ الفصون
وأغضى إليه بحى النجوم ، وسر الظلام ، ولحن السكون
وأوحى إليه عزاميره ، فغنت بها فى الظلام الحزون
وعلمه كيف تأسَى النفوس ، ويغضى يؤوساً بلديها الحنين
وأسمعه صرخات القلوب ، وأنبأه من سُلَافِ الشئون -
فأغنى على صدره المطمئن ، وفي رُوحه حلم مستكين
قوى ، غلوبٌ ، كسحر الجفون ، شجىٌ ، لعوبٌ ، كزهر حزين
ضكوكٌ ، وقد بلَّته الدموع ، طروبٌ ، وقد ظلَّته الشجون
تعانقه سكرات الهوى ، وتحضنه شهقات الأنين
يشابهُ رُوحَ الشباب الجميل إذا ما تألَّق بين الجفون
أعاد لنفسه خيالاً جميلاً . . لقد حجبتَه صروف السنين
فطافت بها هجسات الأسي ، وعادت لها خطرات الجنون

أَظَلَّ الفِضَاءُ جَنَاحَ الغُروبِ ، فَالَقَى عَلَيْهِ جَمَالاً كَثِيبَ
وَأَلْبَسَهُ حَلَّةً مِنْ جَلَالِ ، شَجَى ، قَوَى جَمِيلِ ، غُلُوبِ
فَنَامَتْ عَلَى العُشْبِ تِلْكَ الزُّهُورُ لِمَرَأَى المَسَاءِ الحَزِينِ الرَّهِيْبِ
وَأَبَتْ طَيُورَ الفِضَاءِ الجَمِيلِ لِأَوْكَارِهَا ، فَرِحَاتِ القُلُوبِ
وَقَدْ أَضْرَمَتْ بِأَغَارِيدِهَا خِيَالَ السَّمَاءِ الفَسِيحِ الرَّحِيْبِ
وَوَلَّى رِعَاةَ السَّوَامِ إِلَى الحَىِّ يَزْجُونَهَا فِي صُمَاتِ الغُروبِ
فَتَشْفُو ، حَنِيفًا لِحُمَالِهَا ، وَتَقْطِفُ زَهْرَ المَرْوَجِ الخَصِيْبِ
وَهُمْ يَنْشُدُونَ أَهَازِيحَهُمْ بِصَوْتِ ، بَهِيْجِ ، فَرُوحِ ، طُروبِ
وَيَسْتَمْتِعُونَ مَزَامِيرَهُمْ ، فَتَمْنَحُهُمْ كُلَّ لَحْنٍ عَجِيْبِ
تَطِيرُ بِهِ نَسِمَاتُ الغُروبِ إِلَى الشَّمَقِ المُسْتَطِيرِ الخَالُوبِ
وَتُوحِي لَهُمْ نَظَرَاتُ الصَّبَايَا أَنَاشِيدَ عَهْدِ الشَّبَابِ الرُّطِيْبِ
وَأَقْبِلْ كُلُّهُ إِلَى أَهْلِهِ ، سَوَى أَمَلِي ، المُسْتَطَارِ ، الغَرِيْبِ
فَقَدْ تَاهَ فِي مَعَسَبَاتِ الحَيَاةِ ، وَسُدَّتْ عَلَيْهِ مَنَاجِي الدُّرُوبِ
وِظَلٌّ شَرِيْدًا ، وَحِيْدًا ، بِعِيْدًا ، يَغَالِبُ عُنْفَ الحَيَاةِ العَصِيْبِ
وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ ذَا غِبْطَةٍ ، يَرْفِرُ حَوْلَ فَوَادِي الخَصِيْبِ

وَلَمَّا أَظَلَّ المَسَاءُ السَّمَاءَ ، وَأَسْكُرَ بِالْحُزْنِ رُوحَ الوجودِ
وَقَفْتُ ، وَسَاءَ لَتُهُ : « هَلْ يُؤُوبُ لِقَابِي رِبِيْعُ الحَيَاةِ الشَّرُّودُ ؟ »
« فَتَخَفِقُ فِيهِ أَغَانِي الوردِ وَيَخْضَرُّ فَرْدُوسُ نَفْسِي الحَصِيْدُ ؟ »

« وتحتال فيه عروس الصبح ، وتمرح نشوى بذاك النشيد ؟ »
« ويرجع لى من عراض الجحيم سلامُ الفؤاد ، الجميلُ ، العهد ؟ »
« فقد كسبته بناتُ الظلام ، وأقيته فى ظلام اللحد ؟ »
فأصغى إلى لَهْفِ المستمرِّ ، وخاطبني من مكان بعيد :
« تعودُ أدكراتُ ذاك الهوى ، ولكنَّ سحر الهوى لا يعود »
فجاشتُ بنفسي مآسى الحياة ، وسخطُ القنوط القويَّ المرید
ولمَّا طغت عصافُ القنوط فادتُ بكلِّ مكين ، عُميد
أهبت بقلبي ، الهلوع ، الجزوع ، وقد كان من قبلُ جلدًا ، شديد :
« تجلِّدْ ، ولا تستكنَّ لليالى ، فما فاز إلاَّ الصبورُ ، الجميد »
« ولا تأسَ من حادثات الدهور ، خلف الدياجير فجر جديد »
« ولولا غيومُ الشتاء الغضابُ لما نضدَّ الروضُ تلك الورود »
« ولولا ظلام الحياة العبوسُ لما نسجَ الصبحُ تلك البرود »

بقايا الخريف

كرهتُ القصورَ ، وقطائِها ، وما حولها من صراعٍ عنيفٍ
وكيدِ الضعيفِ لسمي القويِّ ، وعصفِ القويِّ بمجهدِ الضعيفِ
وجاشت بنفسي دموع الحياة ، وعجّت بقلبي رياح الصروف
لقلب الفقير الحطيم ، الكسير ودمع الأيحي السفيح الذريف
وتوَّح اليقاي على أمهات ، توارَيْنَ خلف ظلام الختوف
فسرّتُ إلى حيث تأوى أغاني الربيع ، وتذوى أمانى الخريف
وحيث الفضا شاعرٌ ، حالمٌ ، يفاجئ السهول بوحى ، طريف
وقد دثرته غيومُ المساء بظلٍّ ، حزينٍ ، ضريحٍ ، شقيف
وبين الغصون التي جرّدتها ليلالى الخريف ، القويّ العسوف
وقفتُ ، وحولى غديرٌ ، مواتٌ ، تمدتْ به عَفَوَاتُ الكهوف
قضتْ فى حفافيه تلك الزُّهور ، فكفّنها بالصقيع الخريف
سـوى زهرة شقيتْ بالحياة ، وملبّثها بالمقام الخيف
يروّعها فيه قصفُ الرعود ، ويحزنها فيه نذبُ الزفيف
وينتأبها فى الصباح السديم ، وفى الليلِ حلمٌ ، مريعٌ مخيف
وتزهرُها غاديات الغمام ، وتؤلّها كلُّ ريحٍ عصوف
فتزئولها حولها من زهور ، ومائمٌ إلا السحيق ، الجفيف

فتبكي بكاء الغريب ، الوحيد ، بِشَجْوٍ كَظِيمٍ ، ونَوْحٍ ضَعِيفٍ
تباكي به لُبًّا المستطار ، وترثي به ماطوته الحثوف
وتشكوا أساها بياض النهار ، وتندبُ حظَّ الحياة السخيف
ولكن: لقد فقدت في الوجود رفيقاً مُصِيخاً ، وقلباً رءوف
فما نَمَّ إلا الصخورُ القواسي ، وإلا الصدى المستطارُ المهتوف
فإذتُ بروحٍ شقيٍّ ، شجبيّ ، لقد عذَّبته الليالي صنوف
وماتتُ ، وقد غادرتُها بقاع من الأرض ضَنكٍ ، حياةُ الصروف
فبانتُ حَيالَ الغديرِ الأصمِّ ، وقد أخرس الموتُ ذاك الحفيف
وقد خضبتُها غيومُ المساء ، كعانية ضَرَجَتِها السيوف

فسلما: « ترى كيف غاض الأريجُ ؟ وكيف ذوى سحرُ ذاك الرفيف ؟ »

« وكيف خَيَّتْ بسماتُ الحياة بأجفانها ، وعراها الكسوف ؟ »

« وكيف لَوَتْ حيدَها الحادثاتُ وألَوَتْ بذاك القوام اللطيف ؟ »

ذكرت بمضجها المطمئنِّ ومرقدها في السِّفِيرِ الجفيف

مصارعَ أُمالي الغابرات وخيبتَها في الصراع العنيف

فقلبتُ طرفي بمهوى الزهور وصعدته في الفضاء الأسيف

وقلت : « هو الكونُ مهْدُ الجمال ولكن: لكل جمالٍ خريف !.. »

وأطرقتُ ، أضنى لهمس الأسي وقد عَشَى النفسَ همٌّ كثيف

وغاضتُ ثَمالةُ نور النهار وأرْخى ظلامُ الوجود السجوف

أَغْنِيَةُ الشَّاعِرِ

يَا رَبَّةَ الشَّعْرِ وَالْأَحْلَامِ ، غَنِّينِي
إِنِ اللَّيَالِي اللَّوَاتِي ضَمَخَتْ كَبْدِي
نَاخَتْ بِنَفْسِي مَاسِيهَا ، وَمَا وَجَدْتُ
وَهْدًا مِنْ خَلْدِي نَوْحٌ ، تَرْجَمُهُ
عَلَى الْحَيَاةِ أَنَا أَبْكِي لَشَقْوَتِهَا
يَا رَبَّةَ الشَّعْرِ ، غَنِّينِي ، فَقَدْ ضَجَرْتُ
تَبَرَّمْتُ بَيْنِي الدُّنْيَا ، وَأَعْوَزْتُهَا
وَرَاخَةَ اللَّيْلِ مَلَأْتُ مِنْ مَسَامِيهِ
فَهَلْ إِذَا لُدْتُ بِالظُّلُمَاءِ ، مُنْتَحِبًا
يَا رَبَّةَ الشَّعْرِ ! إِنِّي بَائِسٌ ، تَعَسُّ
وَفِي يَدَيْكَ مَزَامِيرٌ يَخَاجِلُهَا
وَرَتَّلِي حَوْلَ بَيْتِ الْحُزْنِ أَغْنِيَةً
فَإِنْ قَلْبِي قَبْرٌ ، مُظْلَمٌ ، قُبِرْتُ
لَوْلَاكِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَمَسْتُ
وَلَا تَغْنَيْتُ مَأْخُودًا . . ، وَلَا عَذُبْتُ
وَلَا أَصْنَعْتُ إِلَى الْأَصْدَاءِ ، رَاقِصَةً
وَلَا أَرْزِيهِ النَّفْسَ فِي أَشْجَانِهَا شَفَقُ
وَلَا اسْتَخَفَّ حَيَاتِي ، وَهِيَ هَائِمَةٌ

فَقَدْ سَمِئْتُ وَجُومَ السَّكُونِ ، مِنْ حِينَ
بِالسَّحَرِ أَضْحَكْتُ مَعَ الْأَيَّامِ تَرْمِينِي
قَلْبًا عَطُوفًا يُسَلِّئُهَا ، فَعَزَّيْنِي
بَلَوَى الْحَيَاةَ ، وَأَحْزَانُ الْمَسَاكِينِ
فَمِنْ إِذَا مِتُّ يَبْكِيهَا وَيَبْكِينِي ؟
نَفْسِي مِنَ النَّاسِ أَبْنَاءَ الشَّيَاطِينِ
فِي مَعْرِفِ الدَّهْرِ غَرِيدِ الْأَرَانِينِ
وَعَادَةُ الْحُبِّ تُكَلِّي ، لَا تَغْنِينِي
أَسْلُو ؟ وَمَا نَعْمُ مُحْزُونٍ لِحُزُونِ ؟
عَدِمْتُ مَا أُرْجِي فِي الْعَالَمِ الدُّونِ
وَحَى السَّمَاءِ ؛ فَهَاتِيهَا ، وَغَنِّينِي
تَجْلُو عَنْ النَّفْسِ أَحْوَانَ الْأَحْيَانِ
فِيهِ الْأُمَانِي ، فَمَا عَادَتْ تَفَاغِينِي
أَوْتَارَ رُوحِي أَصْـوَاتُ الْأَفَانِينِ
لَى الْحَيَاةِ لَدَى غَضِّ الرِّيَاحِينِ
بَيْنَ السَّكُوفِ ، عَلَى عَرْفِ الشَّيَاطِينِ
يُلَوِّنُ الْغَيْمَ لَهَوًا أَيْ تَلْوِينِ
فَجَرُُّ الْهَوَى فِي جُفُونِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ

فِي بُحْبُوحِ الْأَلَامِ

يا لا ابتسامة قلبٍ مطلولةٍ بدمـوعه
غاضت ، فلم تبق إلا الدموع بين صدوعه
فظل يهتف من شجور هـ ، وفرط ولوعه
« وينح الحياة ! أما تنقضي لديها الرزايا ! »
« أما يكف كفاف هذا الزمان صوب البلايا ! »
« يادهر ! رفقا ! فإن القلوب أمست شظايا »

يا قلب نهنه دموع الأبي ، ولوعة روعك
إن الدهور البواكي غنية عن دموعك
حسب الحياة أساها فاطور الأسى في صدوعك
واحلم بفجر الليالي . . ، ففجرها في هجوعك
وإن غفوت فإن الحية ليست تروحك
وسوف يمضي شتاء الأسى ، ويأتي ربيعك

بين القبور فتاة جار الزمان عليها
فاقتك منها بعنف كف الردى أبوها

تقول والليل ساج والقبر مصغٍ إليها :
 « ياليتنى متٌ من قبل أن تسوء حياتى »
 « وينضب الدمع من لوعتى ، ومن حسراتى ! »
 « من لى بحفرة قبر تضمئى وشكائى ! »

فى الحىّ صبّ يعانى فى الصدر داء دفيناً
 وفى الفؤاد جورى كما مناً وحسناً مكيناً
 حتى دهنه الأيالى وجرعته مَنُونَه
 فشيع الميت جمع من حيه ، ينديونه
 حتى إذا ما أرادوا رصف الصفائح دونه
 ناحت عليه فتاة : « ويلي ، لمن تتركونه ! »

كان الصبى يصيد الفراش بين الزهــــــــــــــــور
 فداس زهرا ندياً ألقى به فى الغدير
 فأخرجوه ، ولكن بعد القضاء الأخير ...
 ففرت الأم حول الصبى ، تصرخ : « ويلي ! »
 فقلت ، والقلب دايماً والناس يملكون حولي :
 « ما أسخف العيش تقضى عليه زلة نعل ! »

شَيْخٌ ، شَاءَ دَهْرَ الْأَمَى ، وَحَمِيدٌ شَتِيتٌ
 بَيْنَ الْخَرَابِ يُمَسِّي عَلَى الطَّوَى ، وَيَبِيتُ
 فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ فَاضَتْ عَلَى الْوُجُودِ حَيَاتُهُ
 وَطَرَفُهُ يَرْمُقُ النَّجْمَ مَلُوءُهُ عِبْرَاتُهُ
 وَمَا حَوَالِيهِ إِلَّا الْخَرَابُ يُشْجِي صُمَاتُهُ
 فَابْكَاهِ فَمَا هـ وَلَا بِكَتْمِهِ فَقَاتُهُ

يَا زَهْرَةً سَامَهَا الْعَابِرُونَ خَسَفًا وَهُونًا !
 لَوْ كُنْتَ شَوْكًا مَقْضُوضًا مَا دَاكَ الْعَابِرُونَ
 لِأَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ الْوَحْيَ الَّذِي تَضُمُّرِيهَا
 هُمْ يَسْخَرُونَ بِهِمْسِ الزَّهْوَرِ ، وَهُوَ يَدْعُ !
 وَيُنْصَتُونَ لَصَوْتِ الْأَشْوَاكِ ، وَهُوَ مُرِيْعُ !
 فَلَا تَبْـالِ إِلَى بَقُومِ الْحَقِّ فِيهِمْ صَرِيْعُ

رَبَّاهُ ! كَمْ مِنْ فِتَاةٍ ، تَشْكُو الْحَيَاةَ وَتَبْكِي ،
 وَمُعْذِمٍ ، بَوَّاتُهُ الدُّهُورُ مَقْعَدَ ضَنْكَ
 وَيَأْسٍ مَاتَ فِي لُبِّهِ الْمَرَامُ الْوَحِيدُ
 وَتَائِيهِ ، ضَاعَ بَيْنَ الْقَفَارِ ، وَهُوَ فَرِيدُ

حتى طوته من العاصفات ریح شُرودُ
ربّاه ! رُحماك إن الزّمان فضُّ شديدُ

يا طائر الشعر ! رَوِّحْ على الحياة السكينة
وامسحْ بريشك دمعَ القلوب ، فهي غريبه
وعزّها عن أساها فقد دهرتها المصيبة
وأنت روحٌ جميل ، بين المصاب الجديدة
فانفتح بها من لهيب السماء روحًا خفيفة
وابعث بسحرِكَ في قلبها ضرامَ الشّمية

جَدْوْلُ الْحُبِّ

بين الأَمْسِ واليَوْمِ

بالأَمْسِ قد كانت حَيَاتِي كَالسَّمَاءِ الْبَاسِمَةِ
واليَوْمِ ، قد أُمَسْتُ كَأَعْمَاقِ الْكَهْوفِ الْوَاجِمَةِ
قد كَانَ لِي مَا بَيْنَ أَحْلَامِي الْجَمِيلَةِ جَدْوْلُ
يَجْرِي بِهِ مَاءُ الْمَحَبَّةِ طَاهِرًا ، يَتَسَلَّسَلُ
تَسْعَى بِهِ الْأَمْوَاجُ بِاسْمَةِ كَأَحْلَامِ الصَّبَا
بِيبَضَاءٍ ، نَاصِعَةً ضَحُوكًا مِثْلَ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ
مِيسَاءً كَهَرَأْسِ الْفَرْدُوسِ بَيْنَ حُقُوفِهِ
تَتَلُو أَنَاشِيدَ الْوَعْدِ فِي مَدَّةِ وَقْفِهِ

هُوَ جَدْوْلُ الْحُبِّ الَّذِي قَدْ كَانَ فِي قَلْبِي الْخَضِيلُ
بِمَرَاشِفِ الْأَحْلَامِ مِنْطَلِقًا ، يَسِيرُ عَلَى مَهَلٍ
يَتَلَوُ عَلَى سَمْعِي أَغَارِيدَ الْحَيَاةِ الطَّاهِرَةِ
وَيُثِيرُ فِي قَلْبِي أَنَاشِيدَ الْخُلُودِ السَّاحِرَةِ
تَقِفُ الْعَذَارَى الْخَالِدَاتُ . . . عَرَأْسُ الشَّعْرِ الْبَدِيعِ
فِي ضَفَّتَيْهِ ، مُرَدَّدَاتٍ نَفْمَةَ الْحُلْمِ الْوَدِيعِ

يلمس من قيثارة الأحلام أوتار الغزل
فتفيض ألحان الصباية عذبةً ، مثل الأمل
وتطير بالسمات والأنغام أجنحة الصدى
في ذلك الأفق الجميل ، وذلك النسم الرخا
وهناك حيث تعانق السمات أنغام الغزل
يتمايل الحلم الجميل ... كبسمة القلب الشمل

هو جدول ، قد فجرت ينبوعه في مهجتي
أجفان فائنة أرثنيها الحياة ، لشوقي
جفان فائنة ، تراءت لي على نجر الشهاب
كمروسة من غايات الشعر ، في شفق الحساب
ثم اختفت خلف السماء ، وراء هاتيك اليوم
حيث العذاري الخالدات ، يمسن ما بين النجوم
ثم اختفت أوّاه ! طائرة بأجنحة المنون
نحو السماء ، وها أنا في الأرض تمثال الشجون
قد كان ذلك كله بالأمس ! بالأمس البعيد ...
والأمس قد جرفته مقهوراً يداً الموت العتيد
قد كان ذلك تحت ظل الأمس ، والماضي الجميل
قد كان ذلك في شعاع البدر من قبل الأفول

واليوم إذ زالت ظلال الأمس عن زَهْرَى البديع
وتَجَلَّبَبَ الزهرُ الجميلُ بظلمة الليل المريع
ذبلت مرأشقه ، فأصبح زاوياً ، نضو السكوم
وهوى لأنَّ الليل أسمعهُ أناشيد الوجوم . . .

بالأمس قد كانت حياتي كالسما الباسمه
واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمه

إذ أصبح النبع الجميل يسير في وادى الألم
متمعِّراً بين الصخور ، يفرور في تلك الظلم
جَعَّتْ به أمواجُ ذِيكَ الغرام الأفل
فقدقَّتْ فيه الدموعُ بصوبها المتهاطل

قد حجبته غيوم أحزان الوجود القائمة
قد أخرسته مرارة القلب التعيس الظالمه
جمدتْ على شفقيه أنعام الصباية والهوى
وقضتْ أغاني الحب ، في أعماقه ، لما هوى
وعدت به الأمواجُ ، جامدة الملامح ، قائمه
قد أسكتتها لوعة الرُّوح الحزين الواجمه
غاضت أمانيتها ، وغار بها الجمال الساحر

فأصابها — لَهْفًا عَلَيْهِ — الإِكْتِنَابُ الْكَافِرُ
فِي ضِفْتَيْهِ عِرَائِسُ الْأَشْعَارِ تَنْصِبُ مَأْتَمَا
يُهْرَقْنَ فِيهِ الدَّمْعُ ، حَتَّى يَلْطِمَ الدَّمْعُ الدِّمَا
فَيَسِيلُ ذَاكَ الْمَدْمَعُ الدَّامِي لِقَلْبِ الْجَدُولِ
حَيْثُ الْمَرَارَةُ ، وَالْأَسَى ، بَيْنَ الزَّهْوِ وَالذُّبُلِ
وَيَنْجَحُ حَتَّى يَسْمَعَ الْأَفَاقَ صَوْتُ الْإِنْتِحَابِ
فَتَسِيرُ أَصْدَاءُ النِّبَاحَةِ نَحْوَ أَطْبَاقِ الضُّبَابِ
وَهُنَاكَ مَا بَيْنَ الضُّبَابِ الْأَقْمِ السَّاجِي الْكَثِيبِ
تَهْتَزُّ آلَامِي ، وَتَخْتَلِجُ الْكَأَبَةُ ، بِالْحَجِيبِ

يَارْفِيقِي

يارفِيقِي ! وأين أنت ؟ فقد أعمت جفوني عواصف الأيام
ورممتني بمهمه ، قائم ، قفز ، تُغشيه داجياتُ الغمام . .
خذ بكلي ، وغنني ، يارفِيقِي ، فسبيل الحياة وعرو أُمَامِي
كلما سِرْتُ زِلَّ بي فيه مهوى ، تتضاغى به وحوشُ الحِمام
شعبته الدهر ، وانطمسَ النُّور ، وقامت به بنات الظلام
راقصات ، يُحْدِثْنَ في حَلَاكِ الليل ، و يلعن بالقلوب الدوامي
غنني ، فالغناء يُدْرَأُ عَنَّا السَّاحِرَ الجان ... ، ساكن الآجام . .

* * *

قد تنسَكرتُ في الوجود ، فأعياني ، وأدبرتُ آيسًا لظلامي
أنشدُ الرَّاحَةَ البعيدة ، لكن خاب ظني وأخطأت أحلامي
فمعي في جوانحي أبَدَ الدهر فؤادٌ إلى الحقيقة ظامي
ما تراخي الزَّمانُ إلَّا وألقى في طواياه قَبْضَةً من ضرام
تغلظي ، يد الحياة ، وزادت مُعضلاتُ الدُّهور والأعوام
أظلمات مهجتي الحياة ، فهل يوماً تبُلُّ الحياة بعض أوامي ؟
يارفِيقِي ! ما أحسبُ المنبَعِ المنشودَ إلَّا وراءَ ليلِ الرَّجام

غَنَّى ، يَا أُخَيَّ ، فَالْكُونُ تَهَيَّأُ ، بِهَا قَدْ تَمَزَّقَتْ أَقْدَامِي
غَنَّى ، عَلَيَّ أُنِيمُ هُمُومِي ، إِنَّنِي قَدْ مَلَّتْ مِنْ تَهَيَّأِي

يَا رَفِيقِي ! أَمَا تَفَكَّرْتَ فِي النَّاسِ ، وَمَا يَحْمِلُونُ مِنْ آلَامٍ ؟
فَلَقَدْ حَزَّ فِي فَوَادِي مَا يَلْقَوْنَ مِنْ صَوْلَةِ الْأَسَى الظَّلَامِ
فَإِذَا سَرَّعَنِي مِنَ الْفَجْرِ نُورٌ سَاءَ لِي مَا يُسِرُّ قَلْبُ الظَّلَامِ
كَمْ بِقَلْبِ الظَّلَامِ مِنْ أُنَّةٍ تَهْفُو بِفُصَاتِ صَبِيَّةٍ أَيْقَامِ
وَنَشِيجِ مُضَرَّمٍ مِنْ فِتَاةٍ ، أَبْهَظْتُهَا قَوَارِعُ الْأَيَّامِ
وَنُوحٍ يَمِيزُ مِنْ قَلْبِ أُمِّ فُجِعَتْ فِي وَحِيدِهَا الْبِسَامِ ،
فَطَمَ الْمَوْتُ طِفْلَهَا ، وَهَرُ نُورٌ فِي دَجَاها ، مِنْ قَبْلِ عَهْدِ الْفُطَامِ
وَأُنِينَ مِنْ مَعْدَمٍ ، ذَى سَقَامٍ ، عَضَّهُ الدَّهْرُ بِالْخَطُوبِ الْجِسَامِ
مَا إِخَالَ النُّجُومَ إِلَّا دُمُوعًا ، ذَرَقَتْهَا مُحَاجِرُ الْأَعْوَامِ
فَلَقَدْ ضَرَّمِ الشُّجُونَ بَنُوهَا ، فَإِذَا بِالشُّجُونَ سَيْلَ طَامِ
وَإِذَا بِالْحَيَاةِ فِي مَلْعَبِ الدَّهْرِ تَدُوسُ الرُّؤُوسَ بِالْأَقْدَامِ
وَإِذَا السُّكُونُ فَلَذَّةٌ مِنْ جَحِيمٍ ، بِكُلِّ قَلْبٍ دَامِ
وَهُمْ فِي جَحِيمِهِمْ يَتَنَاعَوْنَ بِمَا فِي الْوُجُودِ مِنْ أَنْقَامِ !
عَجَبًا لِلنَّفُوسِ ، وَهِيَ بِوَالِكٍ ، عَجَبًا لِلْقُلُوبِ ، وَهِيَ دَوَامِ
كَيْفَ تَشْدُو فِي مُحَاجِرِهَا الدَّمْعَ ، وَتَلْهُو مَا بَيْنَ سُودِ الْمَوَامِي ؟!

يارفيقى ! لقد ضللتُ طريقى ، وتخطتُ تحجّجى أقدامى
خذ بكفى ، فإننى تائهٌ ، أعمى ، كثير الضلال والأوهام
وانفخ النّأى ، فالحياة ظلامٌ ، ما المرتاده من الهول حام
ملء آفاقه فحيحُ الأفاعى ، وعجيجُ الآثام والآلام
فانفخ النّأى ، إنه هبةُ الأملاك المستعبد بالإنلام
واغذُ السّير ، فالهارُ بعيدٌ ، وسبيلُ الحياة جُمُ الظلام ...

إِلَى الْمَوْتِ

صبيّ الحياة ، الشقيّ العنيدُ
ألا قد ضللت الضلال البعيدُ !
أُتَشَدُّ صوتَ الحياة الرخيمَ ، وأنت سجينٌ بهذا الوجودُ ؟ !
وتطلب وَرَدَ الصباح الخصبَ من كفّ حقلٍ ، جديبٍ ، حصيدٍ ؟ !
إلى الموت ! إن شئتَ هَوْنُ الحياة ، خلف ظلام الردى ما تريد ..

إلى الموت ! يا ابن الحياة النعيسَ ، ففي الموت صوتُ الحياة الرخيم
إلى الموت ؟ إن عَذَّبَكَ الدهورُ ، ففي الموت قلبُ الدهور الرخيم
إلى الموت ! فالمت رُوحٌ جميلٌ ، يعرف من فوق تلك الغيوم
فروحاً بفجر الخلود البهيج ، وما حوله من نبات النجوم ...

إلى الموت ! فالمت جامُ روى لمن أظمأته سَمُومُ القلّة
ولست براؤ — إذا ما ظممت — من المنيع العذب قبل المات
فما الدمع إلا شراب الدهور ، وما الحزن إلا غذاء الحياة
إلى الموت ! فالمت مهْدٌ وثيرٌ ، تنام بأحضانها الكائنات

إلى الموت ! إن حاصرتك الخطوب ، وسدّت عليك سبيل السلام
ففي عالم الموت تنضو الحياة رداءً الأسي ، وقفّاع الظلام
وتبدو ، كما خلقت غضة يفيض على وجهها الابتسام
تعيد عليها ظلال الخلود ، وتهفو عليها قلوب الأنام

إلى الموت ! لا تخش أعمـاقه ففيها ضياء السماء الوديع
وفيها تيمس عذارى السماء ، عوارى ، ينشدن لحنا بديع ...
وفي راحهن غصون النخيل يحرقن في فضاء يضيوع ...
تضيء به بسمات القلوب ، وتخبو به حشرات الدموع

هو الموت طيف الخلود الجميل ، ونصف الحياة الذي لا يفوح
هنالك ... خلف الفضاء البعيد ، يعيش المنون القوى الصبوح
يضمّ القلوب إلى صدره ، ليأسو ماضها من جروح
ويبعث فيها ربيع الحياة ، ويهيجها بالصباح الفروح

إِلَى عَارِفٍ أَعْمَى

أدركت فجر الحياة أعمى وكنت لا تعرف الظلام
فأطبقت حولك الدياجى وغام من فوقك الغمام
وعشت في وحشة ، تقامى خواطراً ، كلها ضرام
وغربة ، ما بها رفيق وظلمة ، ما لها ختام
تشق تيه الوجود فرداً قد عصك الفقر والسقام
وطاردت نفسك المآسى وفر من قلبك السلام

هوّن على قلبك المعنى إن كنت لا تبصر النجوم
ولا ترى الغاب ، وهو يلفو وفوقه تخطر الغيوم
ولا ترى الجدول المعنى وحوله يرقص الغيم
فكلنا بائس ، جدير برأفة الخالق العظيم
وكلنا في الحياة أعمى يسوقه زعزع عقيم
وحوله تزعق المنايا كأنها جنّة الجحيم :



يا صاح ! إن الحياة قفرٌ مروعٌ ، مأوه سراب
لا يجتنى الطَّرْفُ منه إلّا عواطفَ الشوك والتراب
وأُسعد الناس فيه أعمى لا يبصر الهول والمصاب
ولا يرى أنفَسَ البرايا تذوب في وقْدَةِ العذاب
فاحمد إلَهَ الحياة ، واقنُغْ فيها بألحانك العذاب
وعِشْ ، كما شاءت اللَّيالي من آهة النَّاي والرباب

صَوْتٌ تَائِهٌ

قَصَّيْتُ أَدْوَارَ الْحَيَاةِ ، مَفَكَّرًا فِي السَّكَاثَاتِ ، مَعَذَّبًا ، مَهْمُومًا
فَوَجَدْتُ أَعْرَاسُ الْوُجُودِ مَا تَمَّا وَوَجَدْتُ فِرْدَوْسَ الزَّمَانِ جَمِيًّا
تَدَوَّى مَحَارِمُهُ بِضَجَّةِ صَرَصِرٍ ، مَشْبُوبَةٌ ، تَذَرُ الْجِبَالَ هَشِيمًا
وَحَضَرْتُ مَائِدَةَ الْحَيَاةِ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا شَرَابًا ، آجِنًا ، مَسْمُومًا
وَنَفَضْتُ أَعْمَاقَ الْفَضَاءِ ، فَلَمْ أَحَدِ إِلَّا سَكُونًا ، مُتَعَبًا مَحْمُومًا
تَتَبَخَّرُ الْأَعْمَارُ فِي حَبَنَاتِهِ وَتَمُوتُ أَشْوَاقُ النُّفُوسِ وَجُومًا
وَلَمْ أَسْتَ أَوتَارَ الدَّهْوَرِ ، فَلَمْ تُفِضْ إِلَّا أَنْيَنًا ، دَامِيًا ، مَكْلُومًا
يَقْلُو أَقَاصِيصَ التَّمَاثِيلِ وَالْأُمَى وَيَصِيرُ أَفْرَاحَ الْحَيَاةِ — أَمْهُومًا

شُرِّدْتُ عَنْ وَطَنِي السَّمَاوِيِّ الَّذِي مَا كَانَ يَوْمًا وَاجِمًا ، مَغْمُومًا
شُرِّدْتُ عَنْ وَطَنِي الْجَمِيلِ .. ، أَنَا الشَّقِيُّ ، فَعَمْتُ مُشْطُورَ الْفُؤَادِ ، يَتِيمًا ...
فِي غُرْبَةٍ ، رُوحِيَّةٍ ، مَلْعُونَةٍ أَشْوَاقُهَا تَقْضِي ، عِطَاشًا ، هِيمًا ...
يَا غُرْبَةَ الرُّوحِ الْمَفَكَّرِ ! إِنَّهُ فِي النَّاسِ يَحْيَا ، سَائِمًا ، مَسْئُومًا
شُرِّدْتُ لِلدُّنْيَا .. ، وَكُلُّ تَائِهٍ فِيهَا يُرَوِّعُ رَاحِلًا وَمَقِيمًا

يدعو الحياة ، فلا يُجيب سوى الردى ليدُسَّه تحت التراب رميا
وتظل سائرة ، كأنَّ فقيدها ما كان يوما صاحبًا وحيا !

يا أيُّها السارى ! لقد طال الشرى حتَّى امَّ ترقب في الظلام نجوما . . ؟
أتخالُ في الوادى البعيد المرَّ تَجى ؟ هيهات ! لن تلقى هناك مرؤوما
سرٌّ ما استطعت ، فسوف تُلقى — مثلها
خلفت — تمسوقَ الفصوف حظيما

نَشِيدُ الْأَسَى

يا ليت شعري ! هل لليل النفس من صبح قريب ؟
فتقرَّ عاصفةُ الظلام ، ويهجعَ الرعدُ الغضوب
ويرتلَ الإنسانُ أغنيةً مع الدنيا ، طروب

ما للرياح تهبُّ في الدنيا ، ويدركها اللغوب
إلا رياحى ، فهي جاحدةٌ ، تمرُّدُها عصيب ؟
مالى تعذبني الحياةُ كأننى خَلَقَ غريب ؟
وتهدُّ من قلبى الجميل ؟ فهل لقلبي من ذنوب ؟
وإذا سألتُ : « لِمَ الوجود ، وكلُّهُ همٌّ مذيب ؟ »
قالت : « نواميسُ السماءِ قضتْ ، ومالك من هروب ؟ »
آه على قلبى ! وإن شقيتُ كسُقوته قلوب
أنقى من الموجِ الوضىء ، ومن نشيدِ العندليب
لم تقترفِ إثمَ الحياة ، وكان مأواها الهيب

يا مهبجةَ الغابِ الجميلِ أَلَمْ يصدِّعْكَ النحيب ؟
يا وجنةَ الوردِ الأنيقِ أَلَمْ تشوِّهْكَ الندوب ؟

يا جَدولَ الوادى الطروبِ ألمَ يَرْتَقِكَ القطوبُ ؟
 يا غَيِّمَةَ الأفقِ الخَضيبِ ألمَ تَمزَّقُكَ الخطوبُ ؟
 يا كوكبَ الشفقِ الضحوكِ أما أَلَمَ بك الشحوبُ ؟
 ها أنت ذا فى الأفقِ تضحكُ ، لا تَهْمُ ، ولا نَحِيبُ
 تُلْقِي على قُننِ الجبالِ رداءَ لألأَمِ قَشِيبِ
 لَتَقَامَ أورادُ الجبالِ الشَّمِّ ، فى مَهْدِ عَجِيبِ
 ولكي تغنيكَ الجدولُ لَحَنها العَذْبُ الحَبِيبِ
 وترى جمالك من بَناتِ الفابِ مِعْطَارُ ، لَعوبِ
 مَمشوقَةٌ ، فى فرعها تاجٌ من الوردِ الخَضِيبِ
 تَقْلُو أناشيدَ الربيعِ ، كأنها تَجوى القلوبِ
 يا كوكبَ الشفقِ الضحوكِ ! وأنتِ مُبْتَلِ السَكِيبِ
 لُحْ فى السماءِ ! وِغْنُ أبْناءِ الشقاوةِ والخطوبِ
 أنشودةَ تَهَبُ العِزاءِ لِكُلِّ مُبْتَلَسٍ غَرِيبِ
 فالطيرُ قد أغفَتْ ، وأسكتَ صوتها الليلُ الهَيُوبِ
 وابسطُ جناحكِ فى الوجودِ ، فإنه عَذْبٌ ، خَلُوبِ
 متأَلِّقٌ بين النجومِ ، كأنه حلمُ طروبِ
 وأنشُرْ ضياءَكَ ساطِعاً ، لِيُنِيرَ أعماقَ القلوبِ
 فعلى جوانبها من الأحزانِ دِيحُورٌ رهيبِ

ما للمياهِ نقيّةٌ حوْلِي ، وَيَنْبوعِي مُشوب ؟
 ما للصباح يعود للدينا ، وَصُبْحِي لا يُؤوب ؟
 ما لي يضيّقُ بيَ الوجود ، وكلُّ ماحولِي رحيب ؟
 ما لي وَجَّحْتُ وكلُّ ما في الغاب مغترد طروب ؟
 ما لي شقيتُ ، وكل ما في الكون أَخَاذٌ عجيب :
 في الأرضِ أقدام الربيع تلامس السهل الجديب
 فإذا به يحيا ، وينبت رائق الزهر الرطيب
 وهناك أوار النهار تُطلُّ من خلف الغروب
 فتخضّب الأمواج ، والأفاق ، والجمال الخصب
 إن الوجودَ الرخب ، والغابات ، والأفق الخصب
 لم تحبْ أشواق الحياة بها ، فعادرها القلوب
 أما أنا ففقدتها ، والليل مربد ، رهيب
 والريّحُ تعصفُ بالورود .. ، فعشت سخريةً اخطوب ...

مهما تضاحكت الحياة فإنني أبداً كئيب
 أضغى لأوجاع الكتابة ، والكتابة لتجيب
 في مهجتي تتأوّه البلوى ، ويعتلج النّحيب
 ويضجُّ جبارُ الأسى ، وتجيش أمواج الكروب
 إني أنا الرُّوحُ الذي سيظل في الدنيا غريب
 ويعيش مضطّلعاً بأحزان الشبابة والمشيب

قلت للشعر

أنت يا شعر ، فلذة من فؤادى
 فيك مافى جوانحي من حنين
 فيك مافى خواطرى من بكاء
 فيك مافى مشاعرى من وجوم
 فيك مافى عوالمى من ظلام
 فيك مافى عوالمى من نجوم
 فيك مافى عوالمى من ضباب
 فيك مافى طفولتى من سلام
 فيك مافى شيبتي من حنين
 فيك - إن عانق الربيع فؤادى -
 ويتغنى الصباح أنشودة الحب ، على مسمع الشباب السعيد
 ثم أجنى فى صيف أحلامى
 فىك يبدو خريف نفسى ملولاً ،
 جللته الحياة بالحزن الدا
 فىك يمشى شتاء أيامى البا
 وتحف الزهور فى قلبى الدا
 تتغنى سنانى وورودى
 على مسمع الشباب السعيد
 الساحر مالد من ثمار الخلود
 صاحب اللون ، عارى الأملود
 مى وغشته بالفيوم السود
 كى ، وترغى صواعقى ورعودى
 جى ، وتهوى إلى قرار بعيد ...

أنت يا شعر قصة عن حياتي أنت يا شعر صورة من وجودي
أنت يا شعر — إن فرحت — أغار يدي — وإن غنت الكآبة — عودي
أنت يا شعر كأسٌ خمرٍ عجيب أتلهى به خلال الوجود . . !
أتحسّاه في الصباح ، لأنسى ماتقضى في أمسى المفقود
وأناجيه في المساء ، ليُلهي مرآة عن ظلام الوجود
أنا لولاك لم أطق غنت الدهر ، ولا فرقة الصباح السعيد
أنت ما نلت من كهوف الليالي وتصفحت من كتاب الخلود
فيك ما في الوجود من خلّك ، دا ج ، وما فيه من ضياء ، بعيد
فيك ما في الوجود من نغم ، حلو ، وما فيه من ضجيج ، شديد
فيك ما في الوجود من جبل ، وعز ، وما فيه من حضيض ، وهيد
فيك ما في الوجود من حسك ، يدّج ، وما فيه من غضيض الورود
فيك ما في الوجود . . ، حبّ بنو الأرض قصيدي ، أم لم يُحبوا قصيدي
فسواء على الطيور — إذا غنت — هُتاف السؤوم والمستعبد
وسواء على النجوم — إذا لاحت — سكون الدجى وقصف الرعود
وسواء على النسيم ، أفي الفقر تنفّى ، أم بين غضّ الورود
وسواء على الورود ، أفي الغيران فاحت ، أم بين نهيد وجيد

يَا ابْنَتِ امِّي

خُلِقْتَ طَلِيْقًا كَطِيْفِ النَّسِيْمِ ، وَحَرًّا كَنُورِ الضَّحَى فِي سَمَاءِ
تَغَرَّدُ كَالطَّيْرِ اَيْنَ اَنْدَفَعَتْ ، وَتَشْدُو بِمَا شَاءَ وَحْيُ الْاِلٰه
وَتَمْرَحُ بَيْنَ وَرُودِ الصَّبَاحِ ، وَتَنَعَمُ بِالنَّوْرِ — اَنْى تَرَاهِ
وَتَمَشَى — كَمَا شِئْتَ — بَيْنَ الْمَرْوَجِ ، وَتَقْطِفُ وَرْدَ الرُّبَا فِي رُبَاهِ

كَيْدًا صَاغَكَ اللهُ ، يَا ابْنَ الْوُجُودِ ، وَأَلْقَيْتَكَ فِي الْكُونِ هَذِي الْحَيَاةِ
فَمَا لَكَ تَرْضَى بِذَلِ الْقِيُودِ ، وَتَحْنِي لِمَنْ كَبَلُوكَ الْجَبَاهِ ؟
وَتُسْكِتُ فِي النَّفْسِ صَوْتَ الْحَيَاةِ الْقَوِيَّ إِذَا مَا تَغْنَى صَدَاهِ ؟
وَتَطْبِقُ أَجْفَانَكَ الْفَيَّاتِ عَنْ الْفَجْرِ ، وَالْفَجْرُ عَذْبُ ضِيَاهِ ؟
وَتَقْفُ بِالْعَيْشِ بَيْنَ الْكَهُوفِ ، فَأَيْنَ النَّشِيدِ ؟ وَأَيْنَ الْإِيَاءِ ؟
أَتَحْشَى نَشِيدَ السَّمَاءِ الْجَمِيلِ ؟ أَتُرْهَبُ نُورَ الْفَضَا فِي ضِيَاهِ ؟
أَلَا اِنْهَضْ ، وَسِرْ فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ ، فَمَنْ نَامَ لَمْ تَنْتَظِرْهُ الْحَيَاةُ ؟
وَلَا تَحْشَ تَمَّا وَرَاءَ التَّلَاعِ . . . فَمَا تَمَّ إِلَّا الضَّحَى فِي صَبَاهِ . . .
وَالَا رُبَيْعُ الْوُجُودِ الْغَرِيْبُ ، يَطْرُزُ بِالْوَرْدِ ضَافِي رَدَاهِ . . .
وَالَا أَرْيَجُ الزَّهْوَرِ الصَّبَّاحِ ، وَرَقْصُ الْأَشْعَةِ بَيْنَ الْمِيَاهِ . . .
وَالَا سَهَامُ الْمَرْوَجِ الْأَنِيْقُ ، يَغَرَّدُ ، مِنْطَلِقًا فِي غِنَاهِ . . .
إِلَى النُّورِ ! فَالنُّورُ عَذْبُ جَمِيْلٍ ، إِلَى النُّورِ ! فَالنُّورُ ظِلُّ الْإِلٰه

أَعْنَانِي التَّائِه

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ ، وبحارٌ ، لا تُعَسِّها الغيومُ
وأناشيدٌ ، وأطيَارٌ تحومُ وربيعٌ ، مُشرقٌ ، حلوٌ ، جميلٌ
كان في قلبي صباحٌ ، وإباهٌ وابتساماتٌ ، ولكن... وأأساهُ !
آه ! ما أهولَ إعصارَ الحياة ! آه ! ما أشقى قلوب الناس ! آه !

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ ،

فإذا السُّكُلُ ظلامٌ وسديمٌ ...

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ

يا بني أمي ! ترى أين الصباح ؟ قد تقضى العُمُرُ والفجرُ بعيدُ
وطنى الوادى بمشبوبِ النُواحِ وانقضتْ أنشودةُ الفصلِ السعيدِ
أين ناي ؟ هل ترامته الرياح ؟ أين غابى ؟ أين محراب السجود .. ؟
خبروا قلبي — فما أقسى الجراح ! — كيف طارتْ نشوةُ العيش الحميد ؟

يا ننى أمي ! ترى أين الصباح ؟

أوراء البحر ؟ أم خلف الوجود ؟

يا بني أمي ! ترى أين الصباح ؟

ليت شعري ! هل ستسليني الغداة
وتُريني أن أفراح الحياة
زُمرُّ تمضي ، وأفواجٌ تعود
فإذا قلبي صياح ، وإياه . . .
وإذا الشُّحُور حلوا النَّفَحات . . .
وإذا الغاب ضياءٌ ، ونشيد . . . ؟

ليت شعري ! هل ستسليني الغداة

أم ستسليني ، وتبقيني وحيد ؟

ليت شعري ! هل تعزِّيني الغداة ؟

إلى قلبي التّائه

ما لآفاقك يا قلبي سودًا ، حالكات ؟
ولأورادك بين الشوك صفرًا ، ذاويات ؟
ولأطيارك لا تلغو ؟ فأين النغمات ؟
لمزمارك لا يشدو بغير الشهقات ؟
ولأوتارك لا تحفق إلا شاكيات
ولأنفاسك لا تنطق إلا باكيات
ولقد كنت صباحَ الأمس بين الأنيمات
كعذارى القاب ، لا تعرف غير البسمات ؟
هوذا يا قلبي البحر ، وأمواج الحياة !
هوذا القارب مشدودًا إلى تلك الصفاة !
هوذا الشاطئ ! لكن أين ربّانك ؟ مات !
أين أحلامك يا قلبي ؟ لقد فات الفوات !
تلك أطيّارٌ ، أنيقاتٌ ، طرابٌ ، فرحات
غرّدت ، ثم توارت في غياهبات الحياة

أنت يا قلبي قلبٌ ، أنضجته الزفرات
أنت يا قلبي عشٌّ ، نفرت عنه القطاة

فأطارته إلى النهر الرياحُ العاتيات
فهو في التيار أوراق ، وأعواد عراة
أنت حقلٌ ، مُجْدَبٌ ، قد هزئت منه الرعاة
أنت ليلٌ ، مُعْتِمٌ ، تندب فيه الباكيات
أنت كهف ، مظلمٌ ، تأوى إليه البائسات
أنت صرّخٌ ، شاده الحب على نهر الحياة
أبنات الشجر ، لكن قوّضته الحادثات
أنت قبرٌ ، فيه من أيامي الأولى رُفات
أنت عودٌ ، مزّقت أوتارَه كفُّ الحياة
فهو في وحشته الخرساء ، بين الكائنات
صامتٌ كالقبر ، إلا من أنين الذكريات
أنت لحنٌ ساحرٌ ، يخبط في التيمه الموات
أنت أنشودة فجرٍ .. رتلتها الظلمات ...

أيها السارى مع الظلمة ، في غير أناة
مُطَرِّقًا ، يخبطُ في الصحراء ، مكبوح الشكاة
تهت في الدنيا ، وما أُبّت بغير الحسرات
صلِّ ياقلبي إلى الله ، فإن الموت آت
صلِّ فالنزع لا تبتقى له غير الصلاة

أَكْثَرُ يَا قَلْبِي فَمَاذَا تَرُومُ ؟

يا قَلْبِي الدَّامِي ! إِلَامَ الْوَجْدِ — وَمُ ؟
يَكْفِيكَ ! إِنْ الْحَزْنَ فَظًّا ، غَشُومَ
هَذِي كَوْوَسِي مُرَّةً ، كَالرَّدَى
مَا مَلَأَهَا إِلَّا عَصِيرُ الْهَمُومِ
وَذَلِكَ نَائِي صَامِتٌ ، وَاجِمٌ
يُصْغِي إِلَى صَوْتِ الْغُرَامِ الْقَدِيمِ
يَا قَلْبِي الْبَاكِي ، إِلَامَ الْبُكَى ؟
مَا فِي فُضَاءِ الْكُونِ شَيْءٌ يَلُومُ
فَأَنْتَ غُبَارَ الْحَزَنِ فَوْقَ الدَّجَى
وَأَسْمَعُ إِلَى صَوْتِ الشَّبَابِ الرَّخِيمِ
وَأَنْقَرُ عَلَى دَفِّ الْهَوَى لَحْنَهُ
وَأَرْقُصُ مَعَ النُّورِ الضَّحُوكِ الْوَسِيمِ
يَا قَلْبِي الدَّاجِي ! إِلَامَ الْوَجْدِ وَمُ ؟
إِنْ لَمْ أَلَمْ قَلْبِي فَمَنْ ذَا أُلُومِ ؟
مَالِكٌ لَا تَصْغِي لِغَيْرِ الْأَسَى ؟
مَالِكٌ لَا تَرْنُو لِغَيْرِ الْكُلُومِ ؟

مالك قد أصبحت لا تصرفُ الأيام

إلا في شعاب الجحيم ؟

أما ترى البلبـل في غابه

يشدو ، وفوق الغاب تخطو النجوم ؟

أما ترى الأسحار تبدو بها الغابات

كالأحلام — خلف السديم

أما ترى الآمال في سحرها ؟

أما ترى الليل يناغي النجم — وم ؟

يا قلبي الداجي ! إلام الوجوم ؟

أكثر يا قلبي ، فماذا تروم ؟

هل تحسب الأيام في زحفها

ترثي لمن قد هدمته الرجوم ؟

كلًا ! فإن الدهر يمضي ولا

يلوى على ما خلفه من كلم

والسيم لا يرى لمن طمه

والسـيل لا يبكي لنوح الهشيم

والعاصف الجبار في سخطه

لا يرحم الغصن ، الرشيق ، القويم

هذي هي الدنيا فماذا الأسي

يا قلبي الدامي ، وماذا الوجوم ؟

يَا مَوْتُ

هي صرخة من صرخات نفسى المملوءة بالأحزان
والذكريات ، وشظية من شظايا هذا القلب المحطم
على صخور الحياة ، قلتها في أيام الأسى التى تلت
نكبتى بوفاة الوالد ، رحمه الله .

يا موت لقد مررتَ صدرى

وقصمتَ بالأرزاء ظهري

ورميتنى من حالى ، وسخرتَ منى أى سخر

فلبثتُ مرضوضَ الفؤاد ، أجزءُ أجفحتى بذُعر . . .

وقسوتَ إذ أبقيتنى فى السكون أذرع كل وعز

وجعفتى فيمن أحب ، ومن إليه أبثُ سرى

وأعدته ، فجرى الجميل ، إذا أدلهم على دهرى

وأعدته ، وزدى ، ومزمارى ، وكساتى ، وخرى

وأعدته ، غابى ، ومحرابى ، وأغنيى ، وفجرى . . .

ورزأتنى فى عمى ، ومشورتى فى كل أمر

وهدمتَ صرحاً ، لا ألود بعيره ، وهتكت سترى

ففقدتُ روحاً ، طاهراً ، شهماً ، يحيش بكل خير

وفقدتُ قلباً ، همه أن يستوى في الأفق بذرى
وفقدتُ كفاً ، في الحياة يصد عنى كل شر
وفقدتُ وجهاً ، لا يعبسه سوى حزنى وضرى
وفقدتُ نفساً ، لا تنى عن صون أفراسى وبشرى
وفقدتُ ركنى في الحياة ، ورايتى ، وعماد قصرى

ياموت ! قد مزقت صدرى

وقصمت بالأرزاء ظهري
ياموت ! ماذا تبتغى منى وقد مزقت صدرى ؟
ماذا تود ، وأنت قد سودت بالأحزان فكرى
وتركتنى في الكائنات أنى ، منفرداً بإضرى
وأجوبُ صحراء الحياة ، أقول : « أين تُراه قبرى ؟ »
ماذا تود من المذنب في الوجود بغير وزر ؟
ماذا تود من الشقي بعيشه ، الفكيد ، المضير ؟
إن كنت تطلبنى فهات الكأس ، أشربها بصبر
أو كنت ترقبى فهات السهم ، أرشقه بنحرى
خذنى إليك ! فقد تبخرت في فضاء الهم عمرى . . .
وتهدأت أغصان أيامى ، بلا ثمر وزهر
وتناثرت أوراق أحلامى على حسك الممر . . .
خذنى إليك ! فقد ظمئت لكأسك ، الكدير ، الأمر . . .

خذني فقد أصبحت أرقبُ في فضاءك الجونِ جبري
خذني ، فما أشقى الذي يقضى الحياة بمثل أمرى . . .

ياموت ! قد مزقتَ صدرى

وقصمتَ بالأرزاءِ ظهري

ياموت ! قد شاع الفؤاد ، وأقفرّت عرصات صدرى

وغدوت أمشي مطرقاً من طول ما أثقلت فسكري

ياموت ! نفسى ملّت الدنيا ، فهل لم يأت دورى

إِلَى اللَّهِ

تعرض لقلب الإنسان الذي لا تنتهى أطواره
أزمات نفسية نائرة ، يعصف فيها الألم والقنوط بكل
حقائق الحياة ، وتزعزع معها كل قواعد الإيمان
والحق والجمال ، فيشعر المرء كأنما أنبت ما بينه وبين
السكانت من وشائج الرحم والقربى ، فأصبح غريباً
في هاته الدنيا الغريبة فى نفسه ، وكأنما الحياة فن من
العبث المرعب الممل الذى لا يجدر بالعطف ولا بالبقاء .
ولكن من رحمة الأقدار أنها حال عارضة لا تدوم
إلا كما تدوم عاصفة البحر . تسدّر صفاءه ، وتحيل جماله
إلى شناعة . وأنعامه إلى عويل . وانسجامه إلى فوضى .
ثم تفر العاصفة وتسكن ويرجع البحر إلى زرقته الصافية ،
والحانة المتزنة . وجماله الساحر الأبدى — وتحت تأثير
هاته الحالة النفسية الجارحة نظمت القصيد التالى ونفسى
سكرى بأحزانها الدامية وآلامها المتشحة باللهيب .

يا إله الوجود ! هذى جراح فى فؤادى ، تشكو إليك الدواهي
هذه زفرة يُصعدها الهم إلى مسمع القضاء الساهي
هذه مهجة الشقاء تناجيك فهل أنت سامع يا إلهي ؟

صورة للوجود شوهاه ، لولا شفق الحسن فوق تلك الحدود

* * *

يا زهور الحياة ، للحب أنتن
فسيل الغرام جمّ المهاوى
رغم ما فيه من جمال ، وفن
وأناشيد تسكر الملاء الأعلى ،
وأريج ، يكاد يذهب بالألباب
وسيل الحياة رغب ، وأنتن
إن أردتن أن يكون هيجاً
أوبشوك ، يدمي الفضيلة والحب
إن أردتن أن يكون شديعاً ،
ولكنه تخيف الورود
وافر الهول ، مستراب الصعید
عبقري ، ما إن له من مزيد
وتشجي جوانح الجلود
ما بين غامض وشديد
اللواتي نفرشته بالورود
رائع السحر ، ذا جمال فريد
ويقضى على مهاء الوجود
مظلم الأفق ميت التفريد

الاستوائ النائية

يا صميم الحياة ! إني وحيدٌ مدلجٌ ، تائه . فأين شروقك ؟
يا صميم الحياة ! إني فؤادٌ ضائعٌ ، ظامئٌ . فأين رحيمك ؟
يا صميم الحياة ! قد وجمَ النَّائِ وِغام الفضاء . فأين بروقك ؟
يا صميم الحياة ! أين أغانيك ! فتحت النجوم يُصغي مَشوقك

كنتُ في فُجرك ، الموشح بالأحلام ، عِطراً ، يُرِفُ فوق ورودك
حالماً ، ينهل الضياء ، ويُصغي لك ، في نشوةٍ بوحى نشيدك
ثمَّ جاء الدجى . . ، فأمسيتُ أوراقاً ، بداداً ، من ذابلات الورود
وضباباً من الشذى ، يتلاشى بين هول الدجى وصمت الوجود
كنتُ في فُجرك المغلف بالسحر ، فضاءً من التشيد الهادئ
وسحاباً من الرؤى ، يتهدى في ضمير الآمال والأبداء
وضياءً ، يعانق العالمَ الرحب ، ويسرى في كل خافٍ وباد
وانقضى الفجر . . ، فأنحدرتُ من الأفق تراباً إلى صميم الوادئ

يا صميم الحياة ! كم أنا في الدنيا غريبٌ ! أشقى بغربةٍ نفسى
بين قومٍ ، لا يفهمون أناشيدَ فؤادى ، ولا معانى بؤسى

في وجودٍ مكبَّل بقيودٍ ، تأثُّه في ظلام شكٍّ ونحسٍ
فاحتضني ، وُصِّمَني لك — كالماضي — فهذا الوجودُ علَّةٌ يَأْسَى

لم أجد في الوجود إلا شقاءً ، سرمدياً ، ولَذَّةً ، مضمحلَّةً
وأماناً ، يُغرقُ الدمعُ أحلاها ، ويُفنى يَمُّ الزمانِ صداها
وأناشيداً ، يأكلُ اللَهيبُ الدَّاميَ مسرَّاتها ، ويُبقي أساها
ووروداً ، تموت في قبضة الأشواك . ما هذه الحياةُ المُملَّةُ ؟ !
سأَمُّ هذه الحياةُ مُعَادَّةً وصباحاً ، يكثر في إثر ليل
ليتنى لم أقدِّ إلى هذه الدنيا ، ولم تسبح السكواكبُ حولي !
ليتنى لم يعانق الفجرُ أحلامي ، ولم يلثم الضياءُ جفوني !
ليتنى لم أزل — كما كنت — ضوئاً ، شائعاً في الوجود ، غير سجين !

أَحْلَامُ شَيْخِ الْحَرِّ

لميت لى أن أعيش فى هذه الدنيا سعيداً بوحـدتى وانفرادى
أصرف العمر فى الجبال ، وفى الغابات ،
بين الصنوبر الميـداد

ليس لى من شواغل العيش ما يصرف نفسى عن استماع فؤادى
أرقب الموت ، والحياة ، وأصغى
وأغنى مع البلبـل فى الغاب ،
وأناجى النجوم ، والفجر ، والأطيار
عيشةً للجمال ، والفن ، أبعيها
لا أعنى نفسى بأحزان شعبي
وبحسبى من الأسى ما بنفسى
وبعيداً عن المدينة ، والناس ،
فهو من معدن السخافة والإفك
أين هو من خـرير ساقية الوادى
وحفيف الغصون ، نغمها الطلُّ
هذه عيشةٌ تقدسها نفسى
وأدعو لـجـدها ، وأنادى

قيود الأحلام

وأودُّ أن أحيا بفكرة شاعر فأرى الوجود يضيق عن أحلامي
إلا إذا قطعتُ أسبابي مع الدنيا وعشتُ لوحدي وظلاحي
في الغاب ، في الجبل البعيد عن الوري حيث الطبيعة ، والجبال الساهي
وأعيشُ عيشةً زاهداً مُتَنَسِّكٍ ما إنْ تُدَنِّسه الحياة بدام
هَجَرَ الجماعة للجبال ، ثورُعا عنها ، وعن بطش الحياة الدامي
تمشى حوائيه الحياة كأنها الحلم الجميل ، خفيفة الأقدام
وتخِرُ أمواج الزمان رهبة قدسية ، في يَمِّها المتراحي
فأعيش في غابي حياةً ، كلها للفنِّ للأحلام ، للإلهام
لكنني لا أستطيع ، فإنَّ لي أمّا ، يصُدُّ حنانها أوهامي
وصِفارَ إخواني ، يرون سلامهم في الكائنات معلقاً بسلامي
فقدوا الأب الخاني ، فكنتُ لضعفهم كهفاً ، يصدُّ غوائل الأيام
ويقيمهم وهَجَ الحياة ، ولفحها ويذود عنهم شِرَّة الآلام
فأنا المكبلُ في سلاسل ، حيّة ، ضحيتُ من رأفي بها أحلامي
وأنا الذي سكن المدينة ، مُكرِّها ومشى إلى الآتي بقلبٍ دام
يصغى إلى الدنيا السخيفة راغماً ويعيش مثل الناس بالأوهام
وأنا الذي يحيا بأرض ، قفرة مدحوة للشكِّ والآلام . . .

هَجَمْتُ بِي الدُّنْيَا عَلَى أَهْوَالِهَا وَخَضَعْتُهَا الرَّحْبَ ، الْعَمِيقَ الطَّامِي
 مِنْ غَيْرِ إِنْذَارٍ فَأَحْمَلَ عُدَّتِي وَأَخْوَضَهُ كَالسَّابِجِ الْعَوَامِ
 فَتَحَطَّمَتْ نَفْسِي عَلَى شَطَائِنِهِ وَتَأَجَّجْتُ فِي جَوْهٍ آلَامِي

الْوَيْلُ لِلدُّنْيَا الَّتِي فِي شَرْعِهَا فَأَسُّ الطَّعَامِ كَرِيشَةِ الرِّسَامِ ؟

؟

أَرَى هَيْكَلَ الْأَيَّامِ يَمْلَأُ ، مُشِيدًا وَلَا يَدُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى أَسْهِ الْهَدْمِ
 فَيُصْبِحَ مَا قَدْ شَيَّدَ اللَّهُ وَالْوَرَى خَرَابًا ، كَأَنَّ السَّكَلَ فِي أَمْسِهِ وَهْمُ !
 فَقُلْ لِي : « مَا جَدَّوِي الْحَيَاةِ وَكُرْبُهَا ، وَتِلْكَ الَّتِي تَذَوِي ، وَتِلْكَ الَّتِي تَفْنُو ؟ »
 « وَفَوْجٍ ، تَغْذِيهِ الْحَيَاةُ لِبَائِسَهَا ، وَفَوْجٍ ، يُرَى تَحْتَ التَّرَابِ لَهُ رَدْمُ ؟ »
 « وَعَقْلٍ ، مِنَ الْأَضْوَاءِ ، فِي رَأْسِ نَابِغٍ وَعَقْلٍ ، مِنَ الظُّلُمَاءِ ، يَحْمِلُهُ قَدَمُ ؟ »
 « وَأَفْنَدِي حَسْرَى ، تَذُوبُ كَأَبَةِ وَأَفْنَدِي سَكْرَى ، يَرِفُّهَا النِّجْمُ ؟ »
 لِنَفْسِ الْوَرَى ، شَاءَ الْإِلَهِ وَجُودَهُمْ فَكَانَ لَهُمْ جَهْلٌ ، وَكَانَ لَهُمْ فَهْمُ !!

أنا أبكيك للحب

لستُ يا أمسى أبكيك لـجـدٍ أو لجاهٍ
سلبته مني الدنيا ، وبرزتني رداه
فأنا أحقرُ الجـدَ وأوهامَ الحياة

أو لُقمٍ ، بلغت منه الليالي مفتهاه
وتلاشت في خضم الزمان الطاغى قواه
فأنا ما زلت في فجر شبابي أو ضحاه

لا ، ولا أبكيك يا أمسى ، إذا ما قلت : « آه »
لنعيم ، لم ينل قلبي منه مُشتهاه
فبنو الأيام في الدنيا كما شاء الإله

إنما أبكيك للحب ، الذي كان بهاه
يملاً الدنيا فأني سرت في الدنيا أراه
فإذا ما لاح فجره ، كان في الفجر سناه
وإذا غرد طير ، كان في الشدو صده

وإذا ما ضاع عِطْرُهُ ، كان في العطر شذاه
 وإذا ما رَفَّ زهرٌ ، كان في الزَّهر صِبَاهُ
 فهو في الكون جمالٌ ، يَمَلَأُ الأفقَ ضِيَاهُ
 وتَوَسَّيَ هذه الأكوَانِ بالسَّحَرِ رُؤَاهُ
 وهو في قلبي — الذي عاتقه الفجرُ — إِلَهُ !
 عِبْقَرِيُّ السَّحَرِ ، مِمْرَاحٌ ، ودِيعٌ في سَمَاءِ
 يَنْسُجُ الأحلامَ في قلبي بأضواءِ الحَيَاةِ
 وَيُغْنِيَنِي ، فأنسى في مَسَرَّاتِ غِنَاهُ
 كلَّ ما في الكون من حزنٍ وأفراحٍ ، عَدَاهُ

سِرُّ النُّهْضِ

لا ينهض الشعبُ إلَّا حين يدفعه
 عِزْمُ الحَيَاةِ ، إذا ما استيقظتْ فيه
 والحبُّ يَخْتَرِقُ الغبراءَ ، مندفعًا
 إلى السماءِ ، إذا هَبَّتْ تَنَادِيهِ
 والقَيْدُ يَأْلُفُهُ الأمواتُ ، ما لبثوا
 أمَّا الحَيَاةُ فَيُجِيلُهَا وتُبْلِيهِ

أَبْنَاءُ الشَّيْطَانِ

أَيُّ نَاسٍ هَذَا الْوَرَى ؟ مَا أَرَى إِلَّا بَرَايَا ، شَقِيَّةً ، مَجْنُونَةً
جَبَلَتْهَا الْحَيَاةُ فِي ثَوْرَةِ الْيَأْسِ مِنَ الشَّرِّ ، كَيْ تَجَنَّ جَنُونَهُ
فَأَقَامَتْ لَهُ الْمَعَابِدَ ، فِي السَّكُونِ ، وَصَلَّتْ لَهُ وَشَدَّتْ حَصُونَهُ

كَمْ فَتَاةٍ ، بَجِيلَةٍ ، مَدَحُوها وَتَغَنُّوا بِهَا لَكَيْ يُسْقِطُوهَا
فَإِذَا صَانَتِ الْقَضِيْلَةَ عَابُوهَا ، وَإِنْ بَاعَتْ أَخْلَفَا عَبْدُوهَا
أَصْبَحَ الْحَسَنُ لَعْنَةً ، تَهْبِطُ الْأَرْضَ ، لِيُغْوَى أَبْنَاؤُهَا وَذُرُوهَا

وَشَقِيٍّ ، طَافَ الْمَدِينَةَ ، يَسْتَجِدِي لِمَحِيَا ، نَفْسِيَّوَهُ احْتَقَارًا
أَيَقْظُوا فِيهِ نَزْعَةَ الشَّرِّ ، فَانْقُضَ عَلَى النَّاسِ فَاثَكًا جَبَّارًا
يُبْذَرُ الرُّعْبَ فِي الْقُلُوبِ ، وَيُذَكِّي — حَيْثَمَا حَلَّ — فِي الْجَوَانِحِ نَارًا

وَنَبِيءٌ ، قَدْ جَاءَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ، فَكَالُوا لَهُ الشَّتَائِمَ كَسِيلًا
وَتَنَادَوْا بِهِ : « إِلَى النَّارِ ! فَالنَّارُ بَرُوحُ الْخَلِيثِ أُخْرَى وَأَوَّلَى »
ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي الْإِهْيَابِ ، وَظَلُّوا يَمْلَأُونَ الْوُجُودَ رُعْبًا وَهَوْلًا

وشعوب ، ضعيفه ، تتلظى في جحيم الآلام - عامًا فعاما
والقوى الظلم يعصر من آلامها السود لذة ومدا
يتحسّاه ضاحكًا .. ، لا يراها خلقت في الوجود إلا طعاما !

وفتاة حسبتها مَعْبَدَ الحب ، فالغيت قلبها ما خورا !
ونبيل ، وجدته في ضياء الفجر قلبًا ، مُدَنِّسًا ، شريرًا !
ورعيم أحله الناس حتى ظن في نفسه إلهًا صغيرا !

وخبيث ، يعيش كالقاس ، هدامًا ، ليمس بين الخراب بناءه
وقىء ، يطاول الجبل العالي ، فله ما أشد غباءه !
ودنىء ، تاريخه في سجل الشر : إلفك ، وقحة ، ودناءه

كان ظني أن النفوس كبار فوجدت النفوس شيئًا حقيرًا
لوئته الحياة ثم استمرت تبذر العالم العريض شرورًا
فاحصدوا الشوك .. ، يا بنيها وضجوا
واملاؤا الأرض والسماء حبورًا

صَلَوَاتِي فِي هَيْكَلِ الْحُبِّ

عَذْبَةٌ أَنْتِ كَالطَّفُولَةِ ، كَالْأَحْلَامِ كَاللَّحْنِ ، كَالصَّبَاحِ الْجَدِيدِ
 كَالسَّمَاءِ الضَّحُوكِ كَاللَّيْلَةِ الْقَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ ، كَابْتِسَامِ الْوَلِيدِ
 يَا لَهَا مِنْ وَدَاعٍ وَجَمَالِ وَشَبَابٍ مُنَعَّمٍ أَمْوَدِ !
 يَا لَهَا مِنْ طَهَارَةٍ ، تَبْعَثُ التَّقْدِيرَ سَ فِي مَهْجَةِ الشَّقَى الْعَمِيدِ ! ...
 يَا لَهَا رَفَقَةً تَسْكَدُ يَرْفُ الْوَرْدُ دُ مِنْهَا فِي الصَّخْرَةِ الْجَلُودِ !
 أَيُّ شَيْءٍ تُرَاكِ؟ هَلْ أَنْتِ «فَيْنِس» تَهَادَتْ بَيْنَ الْوَرَى مِنْ جَدِيدِ
 لِتُعَيِّدَ الشَّبَابَ وَالْفَرَحَ الْمَعْسُولَ لِلْعَالَمِ الْقَمِيسِ الْعَمِيدِ !
 أَمْ مَلَائِكُ الْفَرْدُوسِ جَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ضَ لِيُعْزِي رُوحَ السَّلَامِ الْعَمِيدِ !
 أَنْتِ ... ، مَا أَنْتِ؟ رَسْمٌ جَمِيلٌ عِبْقَرِيٌّ مِنْ قُلُوبِ هَذَا الْوُجُودِ
 فَيْكِ مَا فِيهِ مِنْ غَمُوضٍ وَعَمَقٍ وَجَمَالٍ مُقَدَّسٍ مَمْبُودِ
 أَنْتِ .. مَا أَنْتِ؟ أَنْتِ خَيْرٌ مِنَ السَّحَرِ تَجَلَّى لِقَلْبِي الْمَعْمُودِ
 فَأَرَاهُ الْحَيَاةَ فِي مَوْقِ الْحَسَنِ وَجَلَّى لَهُ خَفَايَا الْخَلُودِ
 أَنْتِ رُوحُ الرَّبِيعِ ، تَحْتَالُ فِي الدُّنْيَا فَتَهْتَزُّ رَائِعَاتُ الْوُرُودِ
 وَتَهْبُؤُ الْحَيَاةَ سَكْرَى مِنَ الْعِطْرِ ، وَيَذُوقُ الْوُجُودُ بِالتَّغْرِيدِ
 كَلَّمَا أَبْصَرْتُكِ عَيْنَايَ تَمَشِينِ بِمَخْطُوبِ مَوْقِعِ كَالنَّشِيدِ
 خَفَقَ الْقَلْبُ لِلْحَيَاةِ ، وَرَفَّ الزَّهْرُ رُ فِي حَقْلِ عَمْرِى الْجُرُودِ

وانتشتُ رُوحِي السَّكِينَةُ بِالْحُبِّ وَغَنَتْ كَالْبَلْبَلِ الْغَرِيدُ
أَنْتِ تَحْيِينَ فِي فُؤَادِي مَا قَدْ مَاتَ فِي أَمْسَى السَّعِيدِ الْفَقِيدِ
وَتَشِيدِينَ فِي خَرَائِبِ رُوحِي مَا تَلَاشِي فِي عَهْدِي الْمَجْدُودِ
مَنْ طَمُوحَ إِلَى الْجَمَالِ إِلَى الْغَنِّ ، إِلَى ذَلِكَ الْفَضَاءِ الْبَعِيدِ
وَتَبْثِينَ رَقَةَ الشُّوقِ ، وَالْأَحْلَامِ وَالشَّدْوِ ، وَالْهُوَى ، فِي نَشِيدِي
بَعْدَ أَنْ عَانَقَتْ كِتَابَةَ أَيَّامِي فُؤَادِي ، وَأَلْجَتْ تَفْرِيدِي
أَنْتِ أَشْدُّ الْأَنَاشِيدِ غَنَاكَ إِلَهُ الْغَمَاءِ ، رَبُّ الْقَصِيدِ
فِيكَ شَبُّ الشَّبَابِ ، وَشَحَّةُ السَّحَرِ وَشَدْوُ الْهُوَى ، وَعِطْرُ الْوَرُودِ
وَرِزَايَ الْجَمَالِ ، يَرْفَعُ رَقْصًا قُدْسِيًّا ، عَلَى أَغَانِي الْوُجُودِ
وَتَهَادَتْ فِي أَفْقِ رُوحِكَ أَوْزَانُ الْأَغَانِي ، وَرَقَّةُ الْقَضَرِيدِ
فَقَامِلَتْ فِي الْوُجُودِ ، كَأَنَّ عَمِيرِيَّ الْخَيَالِ حُلُوَّ النَّشِيدِ :
خَطَوَاتٌ ، سَكَرَانَةٌ بِالْأَنَاشِيدِ ، وَصَوْتٌ ، كَرُجُوعٍ نَائٍ بَعِيدِ
وَقَوَامٌ ، يَكَادُ يَنْطِقُ بِالْأَلْحَانِ فِي كُلِّ وَقْفَةٍ وَقْفٍ مَمْدُودِ
كُلُّ شَيْءٍ مَوْقَعٌ فِيكَ ، حَتَّى لَفَحَةِ الْجَمِيدِ ، وَاهْتِزَازِ النُّجُودِ
أَنْتِ .. ، أَنْتِ الْحَيَاةُ فِي قُدْسِهَا السَّامِي ، وَفِي سَحَرِهَا الشَّجِيَّ الْفَرِيدِ
أَنْتِ .. ، أَنْتِ الْحَيَاةُ ، فِي رَقَّةِ الْفَجْرِ وَفِي رَوْنِقِ الرَّيْمِ الْوَلِيدِ
أَنْتِ .. ، أَنْتِ الْحَيَاةُ ، كُلُّ أَوَانٍ فِي رُوءٍ مِنَ الشَّبَابِ ، جَدِيدِ
أَنْتِ .. ، أَنْتِ الْحَيَاةُ فِي عَيْنَيْ لَكَ آيَاتُ سَحَرِهَا الْمَمْدُودِ
أَنْتِ دُنْيَا مِنَ الْأَنَاشِيدِ وَالْأَحْلَامِ وَالسَّحَرِ وَالْخَيَالِ الْمَدِيدِ

أَنْتِ فَوْقَ الْخِيَالِ ، وَالشَّعْرِ ، وَالْفَنِّ وَفَوْقَ النَّهْيِ وَفَوْقَ الْحُدُودِ
أَنْتِ قُدْسِي ، وَمَعْبَدِي ، وَصَبَاحِي ، وَرَيْعِي ، وَنَشْوَتِي ، وَخُلُودِي

* * *

يَا ابْنَةَ الثُّورِ ، إِنِّي أَنَا وَحْدِي مَنْ رَأَى فِيكَ رَوْعَةَ الْمَعْبُودِ
فَدَعَيْتِي أَعِيشُ فِي ظِلِّكَ الْعَذْبِ وَفِي قَرَبِ حُسْنِكَ الْمَشْهُودِ
عَيْشَةً لِلْجَمَالِ ، وَالْفَنِّ ، وَالْإِلْهَامِ وَالطُّهْرِ ، وَالسَّنَى ، وَالسَّجُودِ
عَيْشَةً لِنَامِكَ الْبَقُولِ يُفَاجِئُ الرَّءِ بَّ فِي نَشْوَةِ الذُّهُولِ الشَّدِيدِ
وَأَمْنِحِينِي السَّلَامَ وَالْفَرَحَ الرَّو حِيَّ يَاضَوْهُ فَجْرِي الْمُنْشُودِ
وَارْحَمِينِي ، فَقَدْ تَهَدَّمْتُ فِي كَوْنِ نَ مِنْ الْيَأْسِ وَالظَّلَامِ مَشِيدِ
أَقْذِئِنِي مِنَ الْأَسَى ، فَلَقَدْ أَمْسِدَ تَ لَا أَسْتَطِيعُ حَمْلَ وَجُودِ
فِي شَعَابِ الزَّمَانِ وَالْمَوْتِ أَمْشِي تَحْتَ عِبَاءِ الْحَيَاةِ جَمَّ الْقِيُودِ
وَأَمَاشِي الْوَرَى وَنَفْسِي كَالْقَبْرِ رِ ، وَقَلْبِي كَالْعَالَمِ الْمَهْدُودِ:
ظُلْمَةً ، مَا لَهَا خَتَامٌ ، وَهَوْلٌ شَائِعٌ فِي سَكُونِهَا الْمَمْدُودِ
وَإِذَا مَا اسْتَخَفَّنِي عَيْبُ النَّاسِ تَبَسَّمْتُ فِي أَسَى وَجُمُودِ
بَسْمَةً مُرَّةً ، كَأَنِّي أَسْتَقِلُّ مِنْ الشُّوْكَ ذَابِلَاتِ الْوُرُودِ
وَأَنْفَخِي فِي مِشَاعِرِي مَرَحَ الدُّنْيَا وَشُدْدِي مِنْ عَزَمِي الْمَجْهُودِ
وَابْعَثِي فِي دَمِي الْحَرَارَةَ ، عَلَى أَنْفَعِي مَعَ الْمُنَى مِنْ جَدِيدِ
وَأَبْتُ الْوَجُودَ أَنْفَامَ قَلْبِ بُلْبُلِي ، مَكْبَلٍ بِالْحَدِيدِ

فالصباحُ الجميلُ يُنمِشُ بالدَّفءِ حياةَ المُحطَّمِ المكدودِ
أُنقِذْنِي ، فقد سُمْتُ ظلامى ! أُنقِذْنِي ، فقد ملئتُ ركودى ؟

آه يا زهرتى الجميلةُ لو تدرين ما جدَّ فى فؤادى الوحيدِ
فى فؤادى الغريبِ تُخَلِّقُ أكوامُ من السحر ذاتِ حسنِ فريدِ
وشمسٌ وضوءٌ وبهجومٌ تفتُر النورَ فى فضاءِ مديدِ
وربيعٌ كأنه حُلُمُ الشَّاعرِ فى سكرةِ الشَّبابِ السعيدِ
ورياضٌ لا تعرفُ انحلَّكَ الداجي ولا ثورةَ الخريفِ العتيـدِ
وطيورٌ سحريةٌ تنناغى بأناشيدَ حلوةِ التغريدِ
وقصورٌ كأنها الشَّقَقُ المخضوبُ أو طلعةُ الصباحِ الوليدِ
وغيومٌ رقيقةٌ تهادى كأباديدٍ من نُشَارِ الزرودِ
وحياةٌ شعريةٌ هى عندى صورة من حياةِ أهلِ الخلودِ
كلُّ هذا يشيده سحرُ عينيكِ وإلهامُ حسنك المعبودِ
وحرام عليكِ أن تهدمى ما شادهُ الحُسنُ فى الفؤادِ العميدِ
وحرام عليكِ أن تسحقى آمـ الـ نفسِ تصبو لعيشِ رغيدِ
منكِ ترجو سعادةً لم تجدها فى حياةِ الورى وسحرِ الوجودِ
فالإلهُ العظيمُ لا يرجمُ العبدَ إذا كان فى جلالِ السجودِ

أراك

أراك ، فتخلو لدى الحياة ويملاً نفسي صباح الأمل
وتنمو بصدري ورود عذاب وتحنو على قلبي المشتعل
ويفتني فيك فيض الحياة وذاك الشباب ، الوديع ، الثمل
ويفتني وسحر تلك الشفاء ترفرف من حولن القبل
فأعبدُ فيك جمال السماء ، ورقة وزد الربيع ، الخضل
وطهر الثلوج ، وسحر المروج مؤشحة بشعاع الطفل

أراك ، فأخلق خلقاً جديداً كأنني لم أبلُ حرب الوجود
ولم أحتمل فيه عيماً ، ثقيلاً من الذكريات التي لا تبديد
وأضغاث أيامي ، الغابرات وفيها الشق ، وفيها السعيد
ويغمُر روجي ضياء ، رقيق تكلله رائعات الزود
وتسمعي هاته الكائنات رقيق الأغاني ، وحلو النشيد
وترقص حولي أمان ، طراب وأفراح عمرٍ خلي ، سعيد

أراك ، فتخفق أعصابُ قلبي وتهتزُّ مثل اهتزاز الوتر
ويجرى عليها الهوى ، في حُنى أنامل ، لُذناً ، كـرطب الزهر
فتخطو أناشيدُ قلبي ، سكرى تغرّد ، تحت ظلال القمر
وتملأني نشوة ، لا تحدُّ كأنّي أصبحت فوق البشر
أودُّ بروحي عناق الوجود بما فيه من أنفسي ، أو شجر
وليل يفرّش ، وفجر يكرّ وغيم ، يوسّى رداء السحر

رثاء فجر

يا أيها الغاب ، المُنمّق بالأشعة والورد !
يا أيها النور — المُنقّ ! وأيها الفجر البعيد !
أين اختفيت ؟ وما الذي أقصاك عن هذا الوجود
آه ! لقد كانت حياتي فيك حاملة ، تמיד
بين الخائل ، والجداول ، والترنم ، والنشيد
تُصفي لنجواك الجميلة ، وهي أغنية الخلود
وتعيش في كونٍ من الغفلات ، فتان ، سعيد
آه ! لقد غنى الصباح ، فدَمَدَمَ الليل العتيد
وتألق النجم الوضي ، فأغتم الغيم الركود
ومضى الردي بسعادتي ، وقضى على الحب الوليد

فِكْرَةُ الْفَنَانِ

عش بالشعور ، وللشعور ، فإنما
شيدت على العطف العميق ، وإنها
وتظل جامدة الجمال ، كئيدة
وتظل قاسية الملامح ، جهمة
لا الحب يرقص فوقها متغنياً
متوردة الوجفات سكران الخطا
متكللاً بالورد ، ينثر للورى
كلاً ! ولا الفن الجميل بظاير
متوشحاً بالسحر ، ينفخ نايه المشبوب بين خمائل وغدير
أويلس العود المقدس ، واصفاً
ما فى الحياة من المسرة ، والأسى
أبدًا ولا الأمل المجنح مُنشدًا
تلك الأناشيد التى تهب الورى

دنياك كون عواطف وشعور
لتجف لو شيدت على التفكير
كالهيكل ، المتهدم ، المهجور
كالموت ، مقفرة ، بغير سرور
للناس ، بين جداول وزهور
يهتز من مَرَج ، وفقط حبور
أوراق ورد « اللذة » المنصور
فى السكون تحت عمامة من نور
الموت ، للأيام ، للديجور
والسحر ، واللذات ، والتغدير
فيها بصوت الحالم ، المحبور
عزم الشباب ، وغبطة العصفور

* * *

واجمل شعورك ، فى الطبيعة قائداً
صحب الحياة صغيرة ، ومشى بها

فهو الخبير بتيهها المسحور
بين الجماجم ، والدم المهدور

وَعَدَا بِهَا فَوْقَ الشَّوَاهِقِ ، بِاسْمَا
وَالْعَقْلُ ، رَغَمَ مَشِيئِهِ وَوَقَارِهِ ،
يَمْشِي .. فَتَصْرَعُهُ الرِّيحُ . ، فَيَذْنِي
وَيُظِلُّ بِسَالُ نَفْسِهِ ، مُتَفَلِّسًا
عَمَّا تُحِبُّهُ السَّكَاكِبُ خَلْفَهَا
وَهُوَ الْمَهْشَمُ بِالْعَوَاضِفِ . . ! يَالَهُ
مُتَعَنِّيَا ، مِنْ أَعْصَرٍ وَدَهْورٍ
مَا زَالِ فِي الْأَيَّامِ جَدًّا صَغِيرٍ
مُتَوَجِّعًا ، كَالطَّائِرِ الْمَكْسُورِ
مُتَنَطِّسًا ، فِي خِفَّةٍ وَغُرُورٍ :
مِنْ سِرِّ هَذَا الْعَالَمِ الْمُسْتَوْرِ
مِنْ سَازِجٍ ، مُتَفَلِّسٍ ، مَغْرُورٍ !

وَأَفْتَحْ فَوَادِكَ لِلْوُجُودِ ، وَخَلِّهِ
لِلشَّلَجِ تَنْثَرُهُ الزَّوَابِعُ ، لِلْأُسَى
وَاتْرِكْهُ يَفْتَحُمُ الْعَوَاضِفَ . ، هَائِمًا
وَيَخْوُضُ أَحْشَاءَ الْوُجُودِ . ، مُعَاوِرًا
حَتَّى تَعَانِقَهُ الْحَيَاةُ ، وَيَرْتَوِي
فَقَمِيشَ فِي الدُّنْيَا بِقَلْبٍ زَاخِرٍ
فِي نَشْوَةٍ ، صُوفِيَّةٍ ، قُدْسِيَّةٍ
لِلْيَمِّ لِلْأَمْوَاجِ ، لِلدَّيْجُورِ
لِلْهَوْلِ ، لِلْآلَامِ ، لِلْمَقْدُورِ
فِي أَفْقِهَا ، الْمُتَلَبِّدِ ، الْمَقْرُورِ
فِي لَيْلِهَا ، التَّهَيَّبِ ، الْمَحْذُورِ
مِنْ ثَعْرِهَا الْمُتَأَجِّجِ ، الْمَسْجُورِ
يَقْطِ الْمَشَاعِرِ ، حَالِمٍ ، مَسْحُورِ
هِيَ خَيْرُ مَا فِي الْعَالَمِ الْمَنْظُورِ

قلب الأم

يا أيها الطفلُ الذى قد كان كاللحن الجميل
والوردة البيضاء ، تعبق فى غيابات الأصيل
يا أيها الطفلُ الذى قد كان فى هذا الوجود ،
قرحاً ، يناجى فتنة الدنيا بمسـول النشيد
ها أنت ذا قد طبقت جفنيك أحلام المَنون
وتطيرت زمرُ الملائكِ حول مضجيك الأمين
ومضت بروحك للسما عرائسُ النورِ الحبيب
يحملن تيجاناً ، مذهبةً ، من الزهر الغريب
ها أنت ذا قد جللتك سَكينةُ الأبد الكبير
وبكتك هاتيك القلوبُ ، وضمتُ القبرُ الصغير
وتفرق الناسُ الذين إلى المقابر شـيـعوك
ونسوك من دنياهم ، حتى كأن لم يعرفوك
شغلهم عنك الحياة ، وحربُ هذى الكائنات
إنَّ الحياة - وقد قضيتُ قبيلَ معرفة الحياة -
بحرٌ ، قرارته الردى ، ونشيدُ لُجته ، شَكة
وعلى شواطئه القلوبُ تنثُ ، دامية عـُـراة

بحرته ، تجيشُ به العواصفُ في العشيّة والغداة
وتظلهُ سحُبُ الظلام ، فلا سكونَ ولا إياةَ
نسيّتكِ أمواجُ البحيرة ، والنجومُ اللامعة
والبلبلُ الشاذى ، وهاتيكِ المروجُ الشاسعة
وجداولُ الوادى النضيرِ برقصها وخيرها
ومسالكُ الجبل الصغيرِ بعُشْبها وزهورها
حتى الرقاقُ . . ، فإنهم لبثوا مدًى يتساءلون
في حيرة مشبوبة : « أين اختفى هذا الأمين ؟ »
لكنهم علموا بأنك فى الليل إلى الداجية
حملتك غيلاًنُ الظلام إلى الجبال النائية
ففسوكَ مثلِ الفاس . . ، وانصرفوا إلى اللهو الجميل
بين الخماثل ، والجدائل ، والرواى ، والشهول
ونسوا وداعة وجهك الهادى ، ومنظرَكَ الوسيم
ونسوا تغنيك الجميل بصوتك الحلو ، الرخيم
ومضوا إلى المَرَج البهيج ، يطاردون طيورَهُ
ويُزحزون صُخوره ، ويعابثون زهورَهُ
ويُشيّدون من الرمال البيض ، والحصب النضير
غُرَفًا ، وأكواحًا تكللها الحشائشُ والزهورُ
ويُضدّون من الرُّبَا ، بين التضاحك والحبور

ويراك في صُورِ الطبيعة : حلوها ، ودميمها
 وحزينها وبهيجها ، وحقيرها وعظيمها
 في رقة الفجر الوديع ، وفي الليالي الحاملة
 في فتنة الشفق البديع ، وفي النجوم الباسمة
 في رقص أمواج البحيرة تحت أضواء النجوم
 في سحر أزهار الربيع ، وفي تهاويل الغيوم
 في لمعة البرق الخفوق ، وفي هوى الصاعقة
 في ذلة الوادي ، وفي كبر الجبال الشاهقة
 في مشهد الغاب السكيب ، وفي الورود^(١) العاوية
 في ظلمة الليل الحزين ، وفي الكهوف المارية
 أعرفت هذا القلب في ظلماء هاتيك الوجود ؟
 هو قلب أمك ، أمك السكرى بأحزان الوجود
 هو ذلك القلب الذي سيعيش كالشادي الضريع
 يشدو بشكوى حزنه الداجي إلى النفس الأخير
 لا ربّة النسيان ترحم حزنه وترى شقاه
 كلا ! ولا الأيأم تبلى في أناملها أساه
 إلا إذا ضفرت له الأقدار إكليل الجنون
 وغدا شقياً ضاحكاً ، تلهو بمראה السنون
 هو ذلك القلب الذي مهما تقلبت الحياة
 وتدفع الزمن المدمدم في شعاب السكائنات

(١) الورود — جمع ورد : الأسد .

وَتَقَنَّتْ الدُّنْيَا ، وَغَرَّدَ بِلَهْلُ الْغَابِ الْجَمِيلِ
 سَيْظَلٌ يَعْبُدُ ذِكْرِيَاكَ : لَا يَمَلُّ ، وَلَا يَمِيلُ
 كَالْأَرْضِ : تَمْشِي فَوْقَ تَرْبَتِهَا الْمَسْرَّةِ ، وَالشَّبَابِ
 وَاللَّيْلِ ، وَالْفَجْرِ الْمُجَنِّحِ ، وَالْعَوَاصِفِ ، وَالسَّحَابِ
 وَالْحُبِّ تَنْبَتْ فِي مَوَاطِنِهِ الشَّقَائِقُ ، وَالْوَرُودِ
 وَالْمَوْتِ تُحْفَرُ — أَيْنَا يَخْطُو — الْمَقَابِرُ وَاللَّحُودِ
 وَتَمُرُّ بَيْنَ فَجَاجِهَا اللَّذَاتِ ، حَالِمَةً ، تَمِيدُ
 سَكْرَى ، وَأَشْوَاقُ الْوَرَى تَرْنُو إِلَى الْأَفْقِ الْبَعِيدِ...
 وَتَظَلُّ تَرْقِصُ لِلْأَسَى ، لِلْهَوَى ، أَشْبَاحُ الدَّهْوَرِ
 حَتَّى يَوَارِيهَا غَنِيَابُ الْمَوْتِ فِي وَادِي الدُّثُورِ
 وَتَظَلُّ تُورِقُ ، ثُمَّ تُزْهِرُ ، ثُمَّ يَنْشُرُهَا الصَّبَاحُ
 الْمَوْتِ ، لِلشُّوْكِ الْمُمَزَّقِ ، لِلجِدَاوِلِ ، لِلرِّيَاحِ
 بِسَمَاتٍ تُفَرِّ ، حَالِمٍ ، يَفْتَرُّ فِي سَهْوِ السَّرُونِ
 وَوَرُودُ رَوْضٍ ، بِاسْمٍ ، يُصْنَعِي لِأَلْحَانِ الطَّيُورِ
 وَتَظَلُّ تَحْفَقُ ، ثُمَّ تَشْدُو ، ثُمَّ يَطْوِيهَا التَّرَابُ
 قَبْلَ ، وَأَطْيَارُ ، تُغَرِّدُ لِلْحَيَاةِ ، وَلِلشَّبَابِ
 وَتَظَلُّ تَمْشِي فِي جَوَارِ الْمَوْتِ أَفْرَاحُ الْحَيَاةِ !
 وَيَغَرِّدُ الشَّحَرُورُ مَا بَيْنَ الْجَاجِ وَالرَّفَاتِ
 وَالْأَرْضُ حَالِمَةٌ : ، تَفْنَى بَيْنَ أَسْرَابِ النُّجُومِ
 أَنْشُودَةَ الْمَاضِي الْبَعِيدِ ، وَسُورَةَ الْأَزَلِّ الْقَدِيمِ...

حَدَّثْتُ الْمُفْبِرَةَ

« وهو حوارٌ فلسفيٌّ ، مَدَارُهُ الحياة »

« والموت ، والخلاود والكمال »

في ليلة مظلمة ، من ليالى الصيف ، خرج الشاعر
بِنَفْسِهِ مِنَ الْقَرْيَةِ الصَّغِيرَةِ النَّائِمَةِ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ ، وَفِي
ذَلِكَ الْمَسْكُونِ الشَّامِلِ ، وَالظَّلَامِ الْمُرْكُومِ ، أَخَذَ يَمْشِي
بَيْنَ أَشْجَارِ الزَّيْتُونِ الْمَزْهُرَةِ فِي مَسَلِّكَ مُنْفَرِدٍ ، ثُمَّ
اَعْتَلَى تِلْكَ الرَّبْوَةَ الصَّغِيرَةَ ، حَيْثُ كَانَتْ مَدَافِنُ الْقَرْيَةِ
وَحَيْثُ يَنَامُ الْمَوْتَى فِي صَمْتِ الدَّهْورِ .

وبين القبور الخرساء الحاثمة تحت أضواء النجوم ،
حيث يتحدث كل شيء بجلال الموت وتفاهة الحياة ،
جلس الشاعر بأقدام متعبة ، ونفس ثائرة ، وأجفان
قد أذبلتها الأحزان ، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار
والذكريات ، وتقلبت أمامه صور الموت وأمواج الحياة ،
وتتابعت أمامه رسوم الأيام السكثيرة ، مانام منها في
قلب الأزل وما لم يزل ينمو في أحشاء الأبد الكبير ،
وجاشت في قلبه هاته العصور والحواطر ، وعجت
في صدره عجيج الأمواج الثائرة ، فألقاها إلى الليل
في الذشيد التالي :

أَتَفْنِي ابْتِسَامَاتِ تِلْكَ الْجَفُونِ ؟ وَيَخْبُو تَوْهَجُ تِلْكَ الْخُدُودِ ؟

وَتَذْوِي وَرِيدَاتِ تِلْكَ الشَّفَاهِ ؟ وَتَهْوِي إِلَى التُّرْبِ تِلْكَ النُّهُودِ ؟



وينهدُّ ذاك القـوامُ الرشيـقُ وينحلُّ صدرُ ، بديعُ ، وجيد
وتربـدُ تلك الوجوه الصـباحُ وفتنةُ ذاك الجـالـال الفريد
ويغبرُّ فرعُ كجنتـح الظلام أنيقُ الغدائر ، جعدُ ، مديد
ويُصبحُ في ظلمات القبـور هباءً ، حقيراً ، وتُرباً ، زهيد
وينجـاب سحرُ الغـزام القويُّ وسُكرُ الشـباب ، الغـرير ، السعيد

أتطوى سـماواتُ هذا الوجود ؟ ويذهب هذا الفضاء البعيد ؟
وتهلك تلك النجومُ القدامي ؟ ويهرم هذا الزمان العهيد ؟
ويقضى صباحُ الحياةِ البديعُ ؟ وليلُ الوجود ، الرهيب ، القتيد ؟
وشمسٌ توشى رداء الغمام ؟ وبدرٌ يضيء ، وغيمٌ يجود ؟
وضوء ، يرصع موجَ الغدير ؟ وسبحرٌ ، يطرز تلك البرود ؟
وبحرٌ فسيحٌ ، بعيد القرار ، يضيحُ ، ويدوى دوى الوليد ؟
وريحٌ ، تمرُّ مرورَ الملاك ، وتخطو إلى الغاب خطو الرعود ؟
وعاصفةٌ ، من بنات الجحيم ، كأنَّ صداها زئيرُ الأسود
تعبجُ ، فتدوى حنايا الجبال وتمشى ، فتدوى صخور النُجود ؟
وطيرٌ ، تغنى خلال الغصون وتهتف للفجر بين الورود ؟
وزهرٌ ، ينفقُ تلك التلال وينهلُ من كل ضوء جديد ؟
ويعبقُ منه أريجُ الغـرام ونفحُ الشـباب ، الحبيِّ ، السعيد ؟

أيسطو على الكلّ ليلُ الفناء ليلهُوبها الموتُ خلفَ الوجود ...
وينثرها في الفراغ الخفيف كما تنثر الوردَ ريحُ شَرود
فينضب يَمُّ الحياة ، الخضمُّ ويحمد روحَ الربيع ، الولود
فلا يلثم النورَ سحرَ الحدود ولا تنبتُ الأرضُ غضَّ الورود ؟

كبيرٌ على النفس هذا العفاء ! وصعبٌ على القلب هذا الهمود !
وماذا على القدرِ المستمرُّ لو استمرَّ الناسُ طعمَ الخلود
ولم يُخفروا بالخراب المحيط ولم يُفجّموا في الحبيب الودود
ولم يسلّكوا للخلود المرجى سبيلَ الردى ، وظلام اللحد
فدام الشبابُ ، وسحرُ الغرام ، وفنُّ الربيع ، ولطفُ الورود
وعاش الورى في سلام ، أمين وعيشٌ ، غضبٌ ، ورحى ، وغميل ؟
ولكن هو القدرُ المستبدُّ يلدُّ له نوحًا ، كالنشيد !

وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول
فجاءت تزور جسمها الذى أصبح رمة بالية في أحشاء
التراب ، فأشفقت على الشاعر المسكين من آلامه
الروحية وحيرته الظامّة ، فأرادت أن تعلمه الحكمة
وتسكب في قلبه برد اليقين تخاطبته بهاته الأبيات :

تبرّمت بالعيش خوف الفناء ولو دمت حيّا سئمت الخلود
وعشت على الأرض مثل الجبال جليلاً ، رهيباً ، غريباً ، وحيد

فلم ترتشف من رضاب الحياة ولم تصطبغ من رحيق الوجود
 ولم تدر ما فتنة الكائنات وما سحر ذاك الربيع الوليد
 وما نشوة الحب عند الحب وما صرخة القلب عند الصدود
 ولم تفكر بالفد المستراب ولم تحتفل بالمرام البعيد
 وماذا يُرجى ربيب الخلود من السكون - وهو المقيم العهد - ؟
 وماذا يؤدُّ ، وماذا يخافُ من السكون - وهو المقيم الأبد - ؟
 تأمل ، فإنَّ نظام الحياة نظام ، دقيق ، بديع ، فريد
 فما حبيب العيش إلاَّ الفناء ولا زانهُ غيرُ خوف اللحد
 ولولا شقاء الحياة الأليم لما أدركَ الناسُ معنى السعود
 ومن لم يرَّعه قطوب الدجى لم يفتبطُ بالصباح الجديد

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين اهوائف
 والأشباح . فقال يحاورها :

إذا لم يكن من لقاء المنايا مناص لمن حلَّ هذا الوجود
 فأى غناء لهذا الحياة وهذا الصراع ، العنيف ، الشديد
 وذاك الجمال الذى لا يُملُّ وتلك الأغاني ، وذاك النشيد ؟
 وهذا الظلام ، وذاك الضياء وتلك النجوم ، وهذا الصعيد
 لماذا تمر بوادى الزمان سراعاً ، ولكننا لا تعود
 فنشرب من كل نبع شراباً ومنه الرقيق ، ومنه الزهيد

ومنه اللذيذ ، ومنه الكريه ، ومنه المُشيد ، ومنه المُبِيد
وتحمل عِبثاً من الذكريات وتلك العهود التي لا تعود
ونشهد أشكال هذى الوجوه وفيها الشقى ، وفيها السعيد
وفيها البديع ، وفيها الشنيع ، وفيها الوديع ، وفيها العنيد
فيُصبح منها الولئ ، الحميم . ويصبح منها العدو ، الحقود
وكلُّ - إذا ما سألنا الحياة - غريبٌ لعمري بهذا الوجود
أَتَيْنَاهُ مِنْ عَالَمٍ ، لا نراه فُرَادَى ، فَمَا شَأْنُ هَذِهِ الْحُقُودِ ؟
وما شَأْنُ هَذَا الْمَدَاءِ الْعَنيفِ ؟ وما شَأْنُ هَذَا الْإِخَاءِ الْوَدُودِ ؟

روح الفيلسوف :
خلقنا لنبلغ شأوَ الكمال ونُصبح أهلاً لمجد الخلود
وتظهر أرواحنا في الحياة بنار الأسمى (١)
ونكسب من عثرات الطريق قُوًى ، لا تُهْدَى بِدَأْبِ الصُّعُودِ
ومجداً ، يكون لنا في الخلود أكاليلَ من رائعات الورود

ومر بالمقبرة سرب من الأرواح ، في طريقها
إلى العالم المجهول ؛ فطارت معها روح الفيلسوف ،
وخلقت عالم الشك والكَآبة لأبنائه البائسين . وظل
الشاعر يردد بينه وبين نفسه :

« خلقنا لنبلغ شأوَ الكمال ونُصبح أهلاً لمجد الخلود »

(١) بياض بالأصل والسودة .

ولكن أفساره الثائرة التي لا تنهدأ كانت لا تزال
تلح عليه بالأسئلة الكثيرة المرهقة فقال يناجى روح
الفيلسوف التي حسبها ما زالت قريبة منه :

ولكن إذا ما لبسنا الخلود ونلنا كمال النفوس البعيد
فهل لا نَمَلُّ دوام البقاء ؟ وهل لا نَوُدُّ كمالاً جديداً
وكيف يكون هذا « الكمال » : ماذا تراه ؟ وكيف الحدود ؟
وإنَّ جمالَ « الكمال » « الطُّمُوحُ » ومادام « فِكْرًا » يُرَى من بعيد
فما سِحره إنَّ غداً « واقعا » يُحَسُّ ، وأصبح شيئاً شهيداً ؟
وهل ينطق في النفوس الحنين وتصبح أشواقنا في خود
فلا تلمح النفس فوق الكمال وفوق الخلود لبعض المزيد ؟
إذا لم يَزُلْ شوقُها في الخلود فذاك لعمري شقاء الخلود
وحربٌ ، ضروسٌ ، — كما قد عهدتُ —
ونصرٌ ، وكسرٌ ، وهمٌّ مليد
وإنَّ زال عنها فذاك الفناء وإنَّ كان في عرصات الخلود

كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف ، ولكنها
كانت إذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه ،
وكذلك ضاعت أسئلة الشاعر في ظلمة الليل الذي
لا يسمع ولا يجيب .

فِي ظِلِّ وَادِي الْمَوْتِ

نحن نَمْشِي ، وحولنا هاته الأكو

ن نَمْشِي .. ، لكن لآيَّة غايَّة ؟

نحن نشـدو مع العصافير للشمس ،

وهذا الربيع ينفخ نايَّة

نحن نَقْلُو رِوَايَةَ الْكَوْنِ لِلْمَوْتِ

ولكن ماذا خْتِـلَامُ الرِوَايَةِ

هكذا قلت للرياح فقالت :

« سل ضمير الوجود : كيف البداية ؟ »

وتغشى الضباب نفسي ، فصاحت

في مَلالٍ مُرٍّ : « إلى أين أمشي ؟ »

قلت : « سيرى مع الحياة .. » فقالت :

« ماجئينا ، تُرى ، من السير أَمْس ؟ »

فتهافتُ كالهشيم - على الأرض

وناديتُ : « أين ياقلب رفشي ؟ »

« هاتِه ، عاني أخط ضريحي »
« في سكون الدجى وأدفن نفسي »

« هاتِه فالظلام حولي كثيف . . . »
« وضباب الأسي مُنيخٌ عليّا . . . »
« وكؤوس الغرام أنزعها الفجر ، »
« ولكن تحطمت في يديّنا . . . »
« والشباب الغرير ولى إلى الماضي »
« وخليّ الفحيب في شفتيّنا ، »
« هانه ، يافؤادُ إنا غريبان ، »
« نصوغ الحياة فننا شجيا . . . »

« قد رقصنا مع الحياة طويلا . . . »
« وشدونا مع الشباب سفيننا . . . »
« وعدونا مع الليالي حُفّة . . . »
« في شعاب الحياة حتى دميّنا . . . »
« وأكلنا الترابَ حتى مللنا . . . »
« وشربنا الدموعَ ، حتى روينا . . . »

« ونثرنا الأحلامَ والحبَّ ، والآلامَ ... »

« واليأسَ ، والأسى ، حيث شِئنا ... »

« ثم ماذا ؟ هذا أنا : صرتُ في الدنيا »

« بعيداً عن ————— وها وغناها »

« في ظلامِ الفناء ، أدفنُ أيَّامِي ، »

« ولا أستطيعُ حتى بكائها ؟ »

« وزهورُ الحياةِ تهوى ، بصمتِ »

« مُحْزِنٍ ، مُضْجِرٍ ، على قدميَّ ، »

« جَفَّ سحرُ الحياةِ ، يا قَلْبِي الباكي ، »

« فهِيمًا ، نجربُ الموتَ .. هَيَّأْ ! .. »

السَّاحِرَةُ

راعها منه صَمْتُهُ وَوُجُومُهُ وَشَجَاها شُحُوبُهُ وَسُهُومُهُ
 فَأَمَرَتْ كَفًّا عَلَى شَعْرِهِ الْعَارِي بِرَفْقٍ ، كَأَنهَا سَتْنِيمُهُ
 وَأَطْلَتْ بِوَجْهِهَا الْبَاسِمِ الْحُلُو عَلَى خَدِّهِ وَقَالَتْ تَلُومُهُ :
 « أَيُّهَا الطَّائِرُ الْكَثْمَبُ تَفَرَّدَ إِنَّ شَدَّو الطَّيُورِ حُلُوَّ رَحِيمُهُ »
 « وَأَجِئْنِي فَدَتِكَ نَفْسِي - مَاذَا ؟ أَمْصَابُ ؟ أَمْ ذَاكَ أَمْرٌ تَرُومُهُ ؟ »
 « بَلْ هُوَ الْفَنُّ وَكَثْمَابُهُ ، وَالْفَنَّا جَمٌّ أَحْزَانُهُ وَهُومُهُ »
 « أَبَدًا يَحْمِلُ الْوُجُودَ بِمَا فِيهِ كَأَنَّ لَيْسَ لِلْوُجُودِ زَعِيمُهُ : »
 « خَلَّ عِبَّ الْحَيَاةِ عَفْكَ ، وَهَيَّا بِمَحْيَا ، كَالصَّبْحِ ، طَلَقِي أَدِيمُهُ »
 « فَكَثِيرٌ عَلَيْكَ أَنْ تَحْمَلَ الدُّنْيَا وَتَمْشِي بِوَقْرِهَا لَا تَرِيهِ »
 « وَالْوُجُودَ الْعَظِيمَ أَقْمَدَ فِي الْمَاضِي وَمَا أَنْتِ رَبُّهُ فَتَقِيهِ »
 « وَامْشِي فِي رَوْضَةِ الشَّبَابِ طَرُوبًا فَوَالَيْكَ وَرَدُّهُ وَكُرومُهُ »
 « وَاتْلُ لِلْحُبِّ وَالْحَيَاةِ أَغَانِيكَ وَخَلِّ الشَّقَاءَ تَذَنِّي كُلُّومُهُ »
 « وَاحْتَضَنِي ، فَإِنِّي لَكَ ، حَتَّى يَتَوَارَى هَذَا الدَّجَى وَنُجُومُهُ »
 « وَدَعِ الْحُبَّ يُنْشِدُ الشَّعْرَ لِلَّيْلِ ، فَكَمْ يُسْكِرُ الظَّلَامَ رَنِيمُهُ ... »
 « وَاقْطِفِ الْوَرْدَ مِنْ خَدُودِي ، وَجِيْدِي وَنَهْدِي .. ، وَافْعَلْ بِهِ مَا تَرُومُهُ »
 « إِنْ لَبِيتَ لَهْوَهُ ، النَّاعِمَ الْحُلُوَّ وَلَاسِكَوْنَ حَرْبُهُ وَهُومُهُ »

« وارتشف من في الأناشيد سكرى ،
 « وأنس في الحياة .. ، فالعمر قفر ،
 « وارزم ليل ، والضباب ، بعيداً
 « فالهوى ، والشباب ، والمرح المعـ
 « هي فن الحياة ، يشارى الفنان
 « تلك يا فيلسوف ، فلسفة الكو
 « وهى إجملى الجميل ، فصدقه
 فرماها بنظرة ، غشيت بها
 وتلاها ببسمة ، رشقتها
 والتقت عندها الشفاه .. ، وغنت
 ماتريد الهموم من عالم ، ضاءت

فالهوى ساحر الدلال ، وسيمه
 مرعب ، إن ذوى وجف نسيمه
 فمك ، العابس ، الكثير وجومه
 -سول تشدو أفناؤه ونسيمه
 بل لب فنها وصيمه
 ن ، ووحي الوجود هذا قديعه
 وإلا .. ، فلغرام جحيمه ..
 سكره الحب ، والأسى وغيومه
 منه سكرانة الشباب ، رؤومه
 قبل ، أجفلت لديها همومه
 مسراته ، وغنت نجومه ؟

ليلة أسبل الفرام عليها
 وتغنى في ظلها الفرح اللاه
 أغرق الفيلسوف فلسفة الأحـ

سحره ، الناعم الطير نعيمه
 جف الأسى وخر هشيمه
 -زان فى بحر ها .. ، فمنا يلومه

إن فى المرأة الجميلة سحرًا
 عبقرية ، يذكى الأسى ، وينيمه

قَالَ قَبْلِي لِلْإِلَهِ

فِي جِبَالِ الْمَوُومِ ، أَنْبَتَ أَغْصَانِي فَرَّقْتُ بَيْنَ الصَّخُورِ بِجَهْدٍ
 وَتَغَشَّانِي الضُّبَابُ . . . فَأُورِقْتُ وَأَزْهَرْتُ لِلْعَوَاصِفِ ، وَحْدِي
 وَتَمَائِلْتُ فِي الظُّلَامِ ، وَعَطَّرْتُ فِضَاءَ الْأَسَى بِأَنْفَاسٍ وَرْدِي
 وَبِمَجْدِ الْحَيَاةِ ، وَالشُّوقِ غَشَّيْتُ . . . فَلَمْ تَفْهَمْ الْأَعَاصِيرُ قَصْدِي
 وَرَمَتْ لِلْوَهَادِ أَفْنَانِي الْخَضِرَ وَظَلَّتْ فِي الثَّلَاجِ تَحْفَرُ لِحْدِي
 وَمَضَتْ بِالشَّدَى فَقُلْتُ : « سِدِّي » فِي مَرْوَجِ السَّمَاءِ بِالْعِطْرِ مَجْدِي
 وَتَغَزَّلْتُ بِالرَّبِيعِ ، وَبِالْفَجْرِ هَذَا سَتَفْعَلُ الرِّيحُ بَعْدِي ؟

مَتَلَحَّنْتُ الْعِظَامَ

إِذَا صَغُرْتُ نَفْسُ الْفَتَى كَانَ شَوْقُهُ صَغِيرًا ، فَلَمْ يَقْعَبْ ، وَلَمْ يَقْجَشْ
 وَمَنْ كَانَ جِبَارَ الْمَطَامِعِ لَمْ يَزَلْ يَلَاقِي مِنَ الدُّنْيَا ضَرَاوَةً قَشَمَ

الجنة الصائغة

كَمْ مِنْ عُهودٍ عَذِبةٍ فِي عَدْوَةِ الوادِي النَضِيرِ
فَضِيَّةِ الأسْحارِ مُذْهَبَةِ الْأَصَائِلِ والبُكُورِ
كَانَتْ أَرْقَ مِنْ الزَّهْوَرِ ، وَمِنْ أَغَارِيدِ الطَّيُورِ
وَالَّذِي مِنْ سِحْرِ الصَّبَا فِي بَسْمَةِ الْوَدَّاعِ الْغَزِيرِ
قَضِيَّتُهَا وَمَعَى الْحَبِيبَةِ لَا رَقِيبَ وَلَا نَذِيرَ
إِلَّا الْطُفُولَةَ حَوْلَنَا تَلْهُوٍ مَعَ الْحُبِّ الصَّغِيرِ
أَيَّامَ كَانَتْ لِلْحَيَاةِ حَلَاوَةُ الرُّوضِ الْمَطِيرِ
وَطَهَارَةُ الْمَوْجِ الْجَمِيلِ ، وَسِحْرُ شَاطِئِ الْمُنِيرِ
وودَاعَةُ الْمَصْفُورِ ، بَيْنَ جَدَاوِلِ الْمَاءِ الْغَمِيرِ
أَيَّامَ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الدُّنْيَا سِوَى مَرَّحِ الشُّرُورِ
وَتَتَبَّعِ النَّجْلَ الْأَنِيقَ وَقَطْفَ تَيْجَانِ الزَّهْوَرِ
وَتَسْلُقِ الْجَبَلَ الْمَسْكَلَ بِالصَّنَوْبَرِ وَالصَّخُورِ
وَبِنَاءِ أَكْوَانِ الطُّفُولَةِ تَحْتَ أَعْشَاشِ الطَّيُورِ
مَسْقُوفَةً بِالرُّودِ ، وَالْأَعْشَابِ ، وَالْوَاقِ الْغَمِيرِ
نَبْنِي ، فَتَهْدِمُهَا الرِّيحُ ، فَلَا نَضِجُ وَلَا نَتُورُ
وَنَعُودُ نَضْحَكُ لِلْمَرْوَجِ ، وَلِلزَّنَابِقِ ، وَالْغَدِيرِ

ونخاطب الأصداء ، وهى ترفُّ فى الوادى المنير
ونعبد أغنية السواقى ، وهى تلعو بالخرير
ونظِّلُ نركض خلف أسراب الفراش المستطير
ونمرُّ ما بين المروج الأخضر ، فى سكر الشعور
نشدو ، ونرقصُ — كالبلابل — للحياة ، ولاحبور
ونظِّلُ نثرُ للفضاء الرَّحْبِ ، والنهر الكبير
ما فى فؤادينا من الأحلام ، أو حُلُو الغرور
ونشيدُ فى الأفق الخطَّاب من أمانينا قصور
أزهى من الشفق الجميل ، ورونى الرَّج الخضير
وأجلُّ من هذا الوجود ، وكلُّ أمجاد الدهور
أبدًا ، تدلُّنا الحياة بكلِّ أنواع السرور
وتبتُّ فينا من مراح الكون ما يفوى الوقور
فنسيرُ ، نَشْدُ لهونا المعبودَ — فى كلِّ الأمور
ونظِّلُ نعبث بالجليل من الوجود ، وبالحقير :
بالسائل الأعمى ، وبالمعتوه ، والشيوخ الكبير
بالقطة البيضاء ، بالشاة الوديمة ، بالحير
بالعشب ، بالفن المنور ، بالسنابل ، بالسفير
بالرمل ، بالصخر المحطَّم بالجداول ، بالغدير
واللهو ، والعبثُ البرى ، الحلو ، مطمحنا الأخير

ونظّل نققز ، أو نُثَرِثِرُ ، أو نفقى ، أو ندور
 لا نسأم اللهو الجميل ، وليس يدركنا الفتور
 فكأننا نحيا بأعصاب من المرح المثير
 وكأننا نمشي بأقدام مجنّحة ، تطير
 أيام كنا لبّ هذا الكون ، والباقي قشور
 أيام تفرش سُبُلنا الدنيا بأوراق الزهور
 وتمرّ أيام الحياة بنا ، كأسراب الطيور
 بيضاء لأعبة ، مُعَرَّدَة مجنّحة بفور
 وتُرفرف الأفراح فوق رؤوسنا أنّي نسير

آه ! توارى فجريّ القدسيّ في ليل الدهور
 وفنى ، كما يفنى النشيدُ الحلو في صمت الأثير
 أوّاه ، قد ضاعت على سعادة القلب الغرير
 وبقيت في وادي الزمان الجّهم أدأب في المسير
 وأدوس أشواك الحياة بقلبي الدّاهي الكسير
 وأرى الأباطيل الكثيرة ، والمآثم ، والشرور
 وتصادم الأهواء بالأهواء في كل الأمور
 ومذلة الحقّ الضعيف ، وعزّة الظلم القدير !
 وأرى ابن آدم سائراً في رحلّة العمر القصير

ما بين أهوال الوجود ، وتحت أعباء الضمير
متسلقاً جبَل الحياة الوعر ، كالشيخ الضرير
دامى الأكف ، مُمزق الأقدام ، مُغبرّ الشعور
مُترنّح الخطوات ما بين المزاق والصخور
هالته أشباح الظلام ، وراعه صوت القبور
ودوى إعصار الأسى ، والموت ، فى تلك الوُعر

ماذا جنّيتُ من الحياة ومن تجارب الدهور
غير الندامة والأسى واليأس والدمع الغزير ؟
هذا حصادى من حقول العالم الرّعب الخطير
هذا حصادى كلّه ، فى يقظة العهد الأخير

قد كنتُ فى زمن الطفولة ، والسذاجة ، والظهور
أحيا كما تحيا البلابل ، والجداول ، والزهور
لا نحفل ، الدنيا تدور بأهلها ، أو لا تدور
واليوم أحيا مُرهق الأعصاب ، مشبوب الشعور
متأجّج الإحساس ، أحفلُ بالعظيم ، وبالحقير
تمشى على قلبى الحياة ، ويزحف الكون الكبير
هذا مصيرى ، يا بنى ، فما أشقى المصير !

السَّعَادَةُ

ترجو السعادة ياقلبي ولو وجدت
ولا استعالت حياة الناس أجمعها
فما السعادة في الدنيا سوى حلم
ناجت به الناس أوهم معرّبة
فهب كل يناديه ويشبهه
كما الناس ما ناموا ولا حلموا^(١)

خذ الحياة كما جاءتك مبسماً
وارقص على الورد والأشواك مُتَبَدِّلاً
واعمل كما تأمر الدنيا بلا مَضَضٍ
فمن تألم لم ترحم مضاضته
هذي سعادة دُنيانا، فكن رجلاً
وإن أردت قضاء العيش في دعة
فاترك إلى الناس دُنياهم وضجّتهم
واجعل حياتك دوّامزهر أنصرّاً
واجعل لياليك أحلاماً مُغرّدةً
في كنفها، الغار أو في كنفها العدم
غدت لك الطير، أو غدت لك الرّجُم
والجُم شعورك فيها، لها صنم
ومن تجلّد لم تهرأ به القم
إن شئتَها — أبداً الآباد — يبتسم!
شعريّة لا يُفشي صفوها ندم
وما بنوا لنظام العيش أو رسّموا
في عزلة الغاب ينمو ثم ينعدم
إن الحياة وما تدوى به حلم!

(١) حلم : كان ذا حلم ، أى ذا عقل .

مِنْ غَيْبَاتِي الرَّعَاةِ

حل الشاعر صيفاً بعين دراهم « من الشمال التونسي »
مستشفياً . وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة
والغابات الملتفة الهائلة ، والجبال الشم المجللة بالسنديان
قضى عهداً شعرياً ، وادعاً ، خالصاً للشعر ، والسحر
والأحلام . وفي القصيد التالى صورة صغيرة من صور
الحياة بين تلك الجبال ، والأودية والغابات .

أقبلَ الصُّبْحُ يُعَنِّي للحياة الناعسة
والرُّبَى تحلمُ في ظلِّ القصور المائسة
والصَّبَا تُرقصُ أوراقُ الزهور اليابسة
وتَهَادَى النُّورُ في تلك الفجاج الدامسة

أقبلَ الصُّبْحُ جميلاً ، يملأُ الأفقَ بهاءً
فتمطى الزهرُ ، والطيرُ ، وأمواجُ المياه
قد أفاقَ العالمُ الحى ، وغنى للحيثاء
فأفئقُ ياخِراني ، وهلمِّي يا شِيَاه

واتبعيني يا شِيَاهى ، بين أسراب الطيور
واملائى الوادى ثغاءً ، ومراحا وحبور

واسمى همس السواقى ، وانشق عطر الزهور
وانظري الوادى ، يَغشيه الضبابُ المستنيرُ

واقطفي من كلال الأرض ، ومرعاها الجديدُ
واسمى شباتي تشدو ، بمسول النشيدُ
نَفَمُ يَصْعَدُ مِنْ قَلْبِي ، كأفاس الورودُ
نَمُ يَسْمُو طائراً ، كالهايلِ الشادى السعيدُ

وإذا جئنا إلى الغابِ ، وغطانا الشجرُ
فانطلقى ماشئتِ من عُشبٍ ، وزهرٍ وتمرٍ
أَرْضَعَتْهُ الشَّمْسُ بالضوءِ ، وغداهُ القمرُ
وارتوى من قطراتِ الطلِّ ، فى وَقْتِ السَّحَرِ

وامرّحى ماشئتِ فى الوديانِ ، أو فوقَ التلالِ
واربضى فى ظلها الوارفِ ، إنْ خِفْتَ الكلالِ
وامضغى الأعشابَ ، والأفكارِ فى صمتِ الظلالِ
واسمى الريحَ تُغْنَى ، فى شماريحِ الجبالِ

إن في الغاب أزهيراً ، وأعشاباً عذاب
يُنشِدُ النخلُ حوائِثها ، أهزيجاً طراب
لم تُدنسْ عطرَها الطاهرَ أنفاسُ الذئاب
لا ، ولا طافَ بها الثعلبُ في بعضِ الصُّحاب !

وشذا حلواً ، وسحرًا ، وسلاماً ، وظلال
وليسَ ساحرَ الخطوةِ ، موفورَ الدلال
ونصونا يرقصُ النورُ عليها ، والجمال
واخضراراً أبدياً ، ليس تمحوه الليال

لن تملّ ، يا خرافي ، في حى الغاب الظليل
فرمانُ الغاب طفلٌ ، لاعبٌ ، عذبٌ ، جميل
وزمانُ الناس شَيْخٌ ، عابسُ الوجه ، ثَقِيل
يتمشّى في ملال ، فوق هاتيك السهول

لك في الغابات مرعاك ، ومسعاك الجميل
ولى الإنشادُ ، والعزف إلى وقت الأصيل
فإذا طالت ظلالُ السكّلا ، الفص ، الضئيل
فهلّى نرجع المسعى إلى الحى النّيل

أيتها الحالمات بين العواصف

أنت كالزهرة الجميلة في الغاب ، ولكن ما بين شوك ، ودود
 والرياحين تحسب الحسك الشرير والدود من صنوف الورود
 فافهمي الناس . . ، إنما الناس خلق مقسداً في الوجود ، غير رشيد
 والسعيد السعيد من عاش كالليل غريباً في أهل هذا الوجود
 ودعهم يحترقون في ظلمة الإنم وعيشي في طهر كالحمود
 كالملك البريء ، كالوردة البيضاء ، كالموج ، في الخضم البعيد
 كأغاني الطيور ، كالشفق الساحر كالكوكب البعيد السعيد
 كثلوج الجبال ، يغمرها النور وتسمو على غبار الصعيد
 أنت تحت السماء روح جميل صاغه الله من غير الورود
 وبنو الأرض كالقروود ، وما أضجع عطر الورود بين القروود !
 أنت من ريشة الإله ، فلا تذلقي بفن السما لجهل العبيد
 أنت لم تخلق ليقرُبكِ الناس ولكن لتُعبدى من بعيد . . .

الأبد الصغير

يا قلب! كم فيك من دُنْيَا مُحَجَّبَةٍ
يا قلب! كم فيك من كُونٍ، قد انقَدَتْ
يا قلب! كم فيك من أَفْقٍ، تُنَمِّقُهُ
يا قلب! كم فيك من قَبْرِ، قد انطَفَأَتْ
يا قلب! كم فيك من غَابٍ ومن جَبَلٍ
يا قلب! كم فيك من كَهْفٍ قد انبجست
تمشى ..، فتَحْمِلُ غُصْنًا مَرْهَرًا بَصِيرًا
أو نَحْلَةً جَرَّهَا التَّيَّارُ مُنْدَفِعًا
أو طَائِرًا سَاحِرًا مَيِّتًا قد انفجرت
يا قلب! إنك كُونٌ، مُدْهِشٌ عَجَبٌ
كَأَنَّكَ الأَبَدُ المَجْهُولُ ..، قد عَجَزَتْ

كأنَّهَا، حين يبدو فجْرها «إِرمُ»^(١)
فيه الشَّمْسُ وعَاشَتْ فَوْقَهُ الأُمُّ
كواكبٌ تَقْجَلِي، ثُمَّ تَنَعِدُمُ
فيه الحَيَاةُ، وَضَجَّتْ تَحْتَهُ الرَّمَمُ
تَدْوِي به الرِّيحُ أو تَسْمُو به القِعمُ
منه الجُدَاوِلُ تَجْرِي مَالَهَا الجُمُ
أو وَرْدَةٌ لَمْ تَشَوَّهْ حُسْنَهَا قَدَمُ
إِلَى البَحَارِ، تُغْنِي فَوْقَهَا الدَّيَمُ
فِي مُقْلَتَيْهِ حِرَاحٌ حَمَّةٌ وَدَمُ
إِنْ يُسْأَلُ النَّاسُ عَنْ لِفَاقِهِ يَجِئُوا
عِنْدَكَ النُّهَى، وَاكْفَهَرَتْ حَوْلَكَ الظُّلُمُ

يا قلب! كم من مَسَرَّاتٍ وَأَخْيَلَةٍ
غَنَّتْ لِفَجْرِكَ صَوْتًا حَالِمًا، فَرِحًا
ولَذَّةً، يَتَحَايَى ظِلْمَهَا الأَلَمُ
نَشْوَانٌ ثُمَّ تَوَارَتْ، وَانْقَضَى النَّعْمُ

(١) إرم: مدينة أسطورية أحاطتها الخرافات بجو خيالي مسحور، فزعمت أنها بنيت على ضفة الجنة: أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب واللؤلؤ والمرجان، وسماؤها من سحر مصرع بالأحلام ..، وأنها لازالت إلى يومنا هذا في صحراء العرب، ولكنها محجوبة لا يراها أحد ...

وكم رأى تِلْكَ الأشباحَ هائمةً مذعورة تهوى حولها الرُّجْمُ
ورَفَرَفَ الألمُ الدَّاعِى ، بأجنحةٍ من الالهيب ، وأنَّ الحزنُ والنَّدَمُ
وكم مشى فوقك الدنيا بأجمعها حتى توارت ، وسار الموتُ والعدمُ
وشيدتْ حولك الأيامُ أبنيةً من الأناشيدِ تُبْنِى ، ثم تنهدِمُ

تمضى الحياةُ بماضيها ، وحاضريها وتذهبُ الشمسُ والشُّطَّانُ والقَمُ
وأنت ، أنتِ الخضمُّ الرُّحْبُ ، لا فَرْخَ يَبْقَى على سطحك الطَّاغِى ، ولا أَلَمُ

يا قلبُ كم قد تملَّيتِ الحياةَ ، وكم رَقَصْتِها مَرَّحًا ، مامَسَكِ السَّامُ
وكم توشَّحتَ من ليلٍ ومن شَفَقٍ ومن صبايحِ تَوَشَّى ذَيْلَهُ السُّدُمُ
وكم نسجتَ من الأحلامِ أوديةً قد مزَّقَتْها الليالى ، وهى تَبْتَسِمُ
وكم ضَفَرْتَ أَكاليلاً مُورَدَةً طارتَ بها زَعزَعُ تدوى وتَحْتَدِمُ
وكم رسمتَ رسوماً ، لا تُشابهها هذى العوالمُ ، والأحلامُ ، والنظْمُ
كانها ظُلُلُ الفِرْدَوْسِ ، حافِلَةٌ بالخورِ ، ثم تلاشتْ ، واختفى الحُلْمُ

تبلُو الحِمَاةَ فتُبْلِيها وتَحْلِمها وتسمجدُ حياةً ، ما لها قِدم
وأنتِ أنتِ شبابُ خالدٍ ، نَصْرٌ مثل الطبيعة : لا شيبَ ولا هَرَمَ

صَوْتُ مَنْ السَّاءِ

في الليل ناديتُ الكواكب ساخطاً متأججِ الآلام والآراب :
 « الحقلُ يملكه جبابرةُ الدجى والروض يسكنه بنو الأرباب »
 « والنهر ، للقول المقدسة التي لا تروى . والغاب للخطاب »
 « وعرائس الغاب الجميل ، هزيلة ظمأى لكل جنّ ، وكل شراب »
 « ماهذه الدنيا الكريهة ؟ ويلها ! حقتُ عليها لعنة الأحقاب ! »
 « السكون مُصغٍ ، يا كواكب ، خاشعٌ طال انتظاري ، فانطقي بجواب ! »

فسمعتُ صوتاً ساحراً ، مقيمٌ فوق المروج الفميج ، والأعشاب
 وحفيفَ أجنحةٍ ترفرف في الفضاء وصدى يرنّ على سكون الغاب :
 « الفجرُ يولدُ باسمًا ، مُتَمَلِّلاً في السكون ، بين دُجْنَةٍ وضباب »

الصَّبْحُ الْجَدِيدُ

أَسْكِنِي يَا جِرَاحُ وَاسْكِنِي يَا شَجُونُ
مَاتَ عَهْدُ النَّوَاحِ وَزَمَانُ الْجَنُونِ
وَأُطْلَ الصَّبْحُ مِنْ وَرَاءِ الْقُرُونِ

فِي فِجَاجِ الرَّدَى قَدْ دَفَنْتِ الْأَلَمَ
وَنَتَرْتُ الدُّمُوعَ لِرِيَّاحِ الْعَدَمِ
وَاتَّخَذْتُ الْحَيَاةَ مَعْرِزًا لِلنَّفْسِ
أَتَفَنِّي عَلَيْهِ فِي رَحَابِ الزَّمَانِ

وَأَذْبَتُ الْأَسَى فِي جَمَالِ الْوُجُودِ
وَدَحَوْتُ الْقُرْأَدَ وَاحِدَةً لِلنَّشِيدِ
وَالضُّمَيَّا وَالظَّلَالَ وَالشَّذَى وَالْوُرُودِ
وَالْهَوَى وَالشَّبَابَ وَالْمُنَى وَالْخَفَانِ

اسكنى يا جراح واسكتى يا شجون
مات عهد النوح وزمان الجنون
وأطل الصباح من وراء القرون

في فؤادى الرحيم معيّد للجمال
شبدته الحياة بالرؤى ، والخيال
فقاوت الصلاة في خشوع الظلال ...
وحرقت البخور وأضأت الشموع ...

إن سحر الحياه خالاً لا يزول
فعلام الشكاه من ظلام يحول
ثم يأتي الصباح وتثمر الفصول ... ؟
سوف يأتي ربيع إن تقضى ربيع

اسكنى يا جراح واسكتى يا شجون
مات عهد النوح وزمان الجنون
وأطل الصباح من وراء القرون

من وراء الظلام وهدير المياه
قد دعاني الصباح وربيع الحياه
ياله من دعاء هز قلبي صدها !
لم يعبُد لي بقاء فوق هذى البقاع

الوداع ! الوداع ! يا جبال المموم
يا ضباب الأسى ! يا فجاج الجحيم !
قد جرى زورقي في الخضم العظيم ...
ونشرت القلاع ... فالوداع ! الوداع !

ذِكْرُ صَهْبِج

قدّس الله ذكره من صهبايح ساحرٍ ، في ظلال غاب جميل
كان فيه النسيم ، يرقص سكراناً على الورد ، والنبات البليـل
وضباب الجبال ، ينساب في رفقٍ بديعٍ ، على مروج السهول
وأغاني الرعاة ، تحفُّق في الأغوارِ والسهلِ ، والربا ، والتلول
ورحابُ الفضاء ، تعبق بالألحان والعطرِ ، والضياء الجميل
والملاكُ الجميلُ ، ما بين ريحانٍ وعُشْبٍ ، وسنديانٍ ، ظلّيل
يتغنّى مع العصافير ، في الغاب ويترنّو إلى الضباب الكسول
وشعور الملاك ترقص بالأزهار والضوء ، والنسيم ، والعليل

حُلمٌ ساحرٌ ، به حلم الغابُ فواهاً لحلمه المسمـول
مثل رؤيا تلوح للشاعر الفنّان في نشوة الخيال الجميل
قد تملّيتُ سحره في أناةٍ وحنانٍ ، ولذّةٍ ، وذهول
ثم ناديتُ ، حينما طفح السّحر بأرجاء قلبي المتقبـول
يا شعورٌ تמיד في الغاب بالر يحان ، والنور ، والنسيم البليـل
كبّليني بهاته الخصل المرخّاة في فتنة الدّلال الملوّل
كبلي ياسلاسل الحبّ أفكا رى ، وأحلام قلبي الضمّليل

كَبْلِيْنِي بِكُلِّ مَا فِيكَ مِنْ عِطْرِ وَسُحْرِ مَقْدَسٍ ، مَجْهُولِ
كَبْلِيْنِي ، فَإِنَّمَا يُصْبِحُ الْفَنَّا حَرًّا ، فِي مِثْلِ هَذِي الْكَبُولِ

لَيْتَ شَعْرِي ! كَمْ بَيْنَ أَمْوَاجِكِ السَّو دِ ، وَطَيَّاتِ لَيْلِكَ الْمَسْدُولِ
مِنْ غَرَامٍ ، مُذْهَبِ التَّاجِ ، مِيتِ وَفَوَادٍ ، مُصَفَّدٍ ، مَغْلُولِ
وَزَهْوٍ مِنْ الْأَمَانِي تَذْوِي فِي شَحُوبٍ ، وَخِيْبَةٍ ، وَخَوْلِ
أَنْتِ لَا تَعْلَمِينَ . . ، وَاللَّيْلُ لَا يَعْلَمُ كَمْ فِي ظِلَالِهِ مِنْ قَتِيلِ
أَنْتِ أَرْجُوهُ النِّسِيمَ فَيَلِي بِالنِّسِيمِ السَّعِيدِ كُلَّ تَمِيلِ
وَالْبَنَى لِلرُّودِ وَالظَّلَلِ ، وَالْأَضْوَاءِ فِي عُرْيِكَ ، الْجَمِيلِ ، النَّبِيلِ
وَدَعَى الشَّمْسَ وَالسَّمَاءَ تُسَوِّي لَكَ تَاجًا ، مِنْ الضِّيَاءِ الْجَمِيلِ
وَدَعَى مُزَهَّرَ الْغُصُونِ يَفْشِي بِكَ بِأَرْوَاقِ وَرْدِهِ الْمَطْلُولِ

لِلشَّعَاعِ الْجَمِيلِ أَنْتِ ، وَلِلْأَنْسَا مِ ، وَالزَّهْرِ ، فَالْمِي ، وَأَطْيَلِي
وَدَعَى لِلشَّقَى أَشْوَاقَهُ الظَّمْأَى وَأَوْهَامَ ذَهْنِهِ الْمَلُولِ
يَا عُرُوسَ الْجِبَالِ ، يَا وَرْدَةَ الْآ مَالٍ ، يَافِتْنَةَ الْوُجُودِ الْجَلِيلِ
لَيْتَنِي كُنْتُ زَهْرَةً ، تَتَشَقَّى بَيْنَ طَيَّاتِ شَعْرِكَ الْمَصْقُولِ !
أَوْ فَرَاشًا ، أَحُومُ حَوْلَكَ مَسْحُورًا غَرِيقًا ، فِي نَشْوَتِي ، وَذَهْوِي !
أَوْ غُصُونًا ، أَحْنُو عَلَيْكَ بِأَرْوَاقِي حُنْنًا ، وَالدَّلَّةِ ، الْمَقْبُولِ !
أَوْ نَسِيمًا ، أَضْمُ صَدْرَكَ فِي رِفْقِي ، إِلَى صَدْرِي ، الْخَفُوقِ ، النَّحِيلِ
آه ! كَمْ يُسْعِدُ الْجَمَالَ ، وَيُشْقِي مِنْ قُلُوبِ شَعْرِيَّةٍ ، وَعَقُولِ . . .

الرَّوَايَةُ الْغَرِيبَةُ

ضحكنا على الماضي البعيد ، وفي غَدٍ
ستجعلنا الأيامُ أضحوكةً آتِي

وتلك هي الدنيا ، روايةٌ ساحريـ
عظيم ، غريب الفن ، مبدع آيات

يمثلها الأحياء في مسرح الأسيـ
ووسط ضباب الهم ، تمثيل أموات

ليشهد من خلف الضباب فصولها
ويضحك منها — من يمثِّل ما ياتي

وكلُّ يودّي دَوْرَهُ . . . ، وهو ضاحكٌ
على الغير ، مضحكٌ على دوره العاتي

الْحَانِي السَّكْرِيَّ

قد سكرنا بحبنا واكتفينا
يامدير الكؤوس فاصرف كؤوسك
واسكب الخمر للعصافير والنحل
وخلّ الثرى يضم عروسك

مالنا والكؤوس ، نطلب منها
نشوة الفرام سحر وسكر !
خلنا منك ، فالربيع لنا ساق
وهذا الفضا كاس وخر !

نحن نحميا كالطير ، في الأفق الساجي
وكالفحل ، فوق غصن الزهور
لا ترى غير فتنة العالم الحي
وأحلام قلبها المسحور . . .

نحن نلهو تحت الظلال ، كطفلين
سعيدين ، في غرور الطفولة
وعلى الصخرة الجميلة في الوادي
وبين الخواف الجمهولة

نحن نغدو بين المروج ونمسي
ونفني مع النسيم المنفي
ونتاجي روح الطبيعة في الكون
ونصني لقلبها المنفي

نحن مثل الربيع : نمشي على أرض
من الزهر ، والرؤى ، والخيال
فوقها يرقص الفرام ، ويلهو
ويغني في نشوة ودلال

نحن نحيا في جنة من جنان السحر في عالم بعيد . . . ، بعيد . . . ،
نحن في عُشِّنا المورِد ، نَقَلو سُورَ الحُبِّ للشَّبابِ السَّعيدِ

قد تركنا الوجودَ للناس ، فليقـ ضُوءَ الحِياةِ كيف أَرَدُوا
وذهبنا بلبِّه ، وهو روحٌ وتركنا القشـورَ ، وهي جَآءُ

قد سكرنا بحمينا ، واكتفينا طَفَحَ الكَأْسِ ، فاذهبوا يأسُقَا
نحن نحيا فلا نريد مزيداً حسبنا ما منحتنا يا حِياةُ

حسبنا زهرنا الذي نَتَشَّى حسبنا كأسنا التي نَتَرَشَّفُ
إنَّ في ثغرنا رحيماً سماوياً وفي قلبنا ربيعاً مفوّفُ

أيها الدهر ، أيها الزمن الجارى إلى غير وُجْهَةٍ وقـرار !
أيها الكون ! أيها الفلك الدَّوار بالفجر ، والدجى ، والنهار !

أيها الموت ! أيها القدر الأعمى ! قفُوا حيث أنتم ! أوفسـيروا
ودعونا هنا : تَغْنِي لَنَا الأحلامُ والحبُّ ، والوجودُ ، الكبيرُ

وإذا ما أَبَيْتُمْ ، فاحـلونا ولهيبُ الغرامِ في شفتينَا
وزهورُ الحِياةِ ، تعمقُ بالعطر وبالسحر ، والصَّـبَا في يديْنَا

إِرَادَةُ الْحَيَاةِ

إذا الشعبُ يوما أراد الحياةَ فلا بدَّ أن يستجيب القدرُ
ولا بدَّ للآلِ أن ينجلي ولا بدَّ للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوقُ الحياةِ تبخرَ في جوِّها ، وانثر
فويل لمن لم تشقه الحياةُ من صفة العدم المنقصر
كذلك قالت لى الكائناتُ وحدثنى روحها المستقر

ودمدت الريحُ بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر :
« إذا ما طمحتُ إلى غاية ركبْتُ المني ، ونسيتُ الخذر »
« ولم أتجنّب وعورَ الشّباب ولا كُبةَ اللّهب المستعر »
« ومن لا يحبُّ صعودَ الجبال يعيشُ أبدَ الدهر بين الحفر »
فمجتّ بقلبي دماءَ الشباب وضجتْ بصدري رياحُ آخر ...
وأطرقتُ ، أصغى لقصف الرعود وعزف الرياح ، ووقع المطر

وقالت لى الأرض - لما سألت : « أيا أمُّ هل تكرهين البشر ؟ » :
« أبارك في الناس أهلَ الطموح ومن يستلذُّ ركوبَ الخطر »
« وألعنُ من لا يماشى الزمانَ ، ويقنع بالعيش عيشَ الحجر »

« هو السكون حتى ، يحبُّ الحياة ويحتقر المِيتَ ، مهما كُبر »
 « فلا الأفقُ يحضنُ مِيتَ الطيورِ ، ولا النحلُ يلثمُ مِيتَ الزهر »
 « ولولا أمومةُ قلبي الرَّؤومُ لَمَّا ضَمَّتْ المِيتَ تلكَ الحُقر »
 « فويلٌ لمن لم تشقه الحياة ، مِن لعنة العدم المنتصر ! »

وفي ليلة من ليالى الخريف مثقلة بالأسى والضجر
 سكوت بها من ضياء النجوم وغنيت للحزن حتى سكر
 سألتُ الدجى : هل تُعيد الحياة لما أذبلته ربيعَ العمر ؟
 فلم تتكلم شفاء الظلام ولم تترنم عذارى السحر
 وقال لى الغاب فى رقة مُحِبَّةٍ مثل خفق الوتر :
 « يحىء الشتاء ، شقاء الضباب ، شتاء الثلوج ، شتاء المطر »
 « فينطفئ السَّحرُ ، سحر الغصون ، وسحر الزهور ، وسحر الثمر »
 « وسحر السماء ، الشجى ، الوديع ، وسحر المروج ، الشهى ، العطر »
 « وتهوى الغصونُ ، وأوراقها وأزهارُ عهدٍ حبيبٍ نضر »
 « وتلهو بها الريح فى كل وادٍ ويدفنها السيلُ ، أنى عبر »
 « ويفنى الجميعُ كحلْمٍ بديع ، تالِق فى مهجةٍ واندثر »
 « وتبقى البذورُ ، التى حُمِلَتْ ذخيرةً عُمرٍ جميل ، غَبر »
 « وذكرى فصولٍ ، ورؤيا حياةٍ ، وأشباحَ دنيا ، تلاشت زمر »
 « معانقة — وهى تحت الضباب ، وتحت الثلوج ، وتحت المدَر — »

« لَطِيفِ الحَيَاةِ الذِى لَا يُمَلُّ ، وَقَلْبِ الرِّبْعِ الشَّدَى الْخَضِرِ »
« وَحَالَةً بِأَغَانِى الطَّيْرِ — وَر ، وَعِطْرِ الزَّهْرِ ، وَطَعْمِ الثَّمْرِ »

« وَيَمشِى الزَّمَانُ ، فَتَنَمُو صُرُوفٌ ، وَتَذْوِى صُرُوفٌ ، وَتَحْيَا أُخَرَ »
« وَتُصْبِحُ أَحْلَامُهَا يَفْظَةً ، مُوَشَّحَةً بِغَمُوضِ السَّجَرِ »
« تُسَائِلُ : أَيْنَ ضِيَابُ الصَّبَاحِ ، وَسِجَرُ الْمَسَاءِ ؟ وَضَوْءُ الْقَمَرِ ؟ »
« وَأَسْرَابُ ذَلِكَ الْفَرَاشِ الْأَنِيقِ ؟ وَنَحْلُ يَفْنَى ، وَغَيْمٌ يَمُرُّ ؟ »
« وَأَيْنَ الْأَشْعَةُ وَالْكَاثِنَاتُ ؟ وَأَيْنَ الْحَيَاةُ الَّتِى أَنْتَظِرُ ؟ »
« ظَمِئْتُ إِلَى النُّورِ ، فَوْقَ النُّصُورِ ! ظَمِئْتُ إِلَى الظَّلَالِ تَحْتَ الشَّجَرِ ! »
« ظَمِئْتُ إِلَى النُّبْعِ ، بَيْنَ الْمَرْجِ ، يَفْنَى ، وَيَرْقُصُ فَوْقَ الزَّهْرِ ! »
« ظَمِئْتُ إِلَى نَفَاطِ الطَّيُورِ ، وَهَمْسِ النَّسِيمِ ، وَلَحْنِ الْمَطَرِ ! »
« ظَمِئْتُ إِلَى الْكَوْنِ ! أَيْنَ الْوُجُودُ وَأَيْنَ أَرَى الْعَالَمَ الْمُنْتَظَرُ ؟ »
« هُوَ الْكَوْنُ ، خَلْفَ سَبَاتِ الْجُمُودِ ، وَفِي أَفْقِ الْيَقَظَاتِ الْكَبِيرِ »

« وَمَا هُوَ إِلَّا كَحَفَقِ الْجَنَاحِ حَتَّى نَمَا شَوْقُهَا وَانْتَصَرَ »
« فَصَدَّعَتِ الْأَرْضَ مِنْ فَوْقِهَا وَأَبْصُرَتِ الْكَوْنَ عَذْبَ الصُّورِ »
« وَجَاءَ الرِّبْعُ ، بِأَنْعَامِهِ . وَأَحْلَامُهُ ، وَصِبَاهُ الْعِطَرِ »
« وَقَبَلَهَا قُبَلًا فِي الشِّفَاءِ ، تَعْمِدُ الشَّيَابِ الذِى قَدْ غَبَرَ »
« وَقَالَ لَهَا : قَدْ مُنِحَتِ الْحَيَاةُ ، وَخُلِدَتْ فِي نَسْلِكَ الْمُدَّخَرِ »

« وَبَارَكَكَ النُّورُ ، فَاسْتَقْبَلِي شَبَابَ الْحَيَاةِ وَخِصْبَ الْعُمُرِ »
 « وَمَنْ تَعْبُدِ النُّورَ أَحْلَامُهُ ، يُبَارِكُهُ النُّورُ أَنْتَى ظَهَرِ »
 « إِلَيْكَ الْفَضَاءُ ، إِلَيْكَ الضِّيَاءُ ، إِلَيْكَ الثَّرَى ، الْحَالِمُ ، الْمَزْدَهَرُ ! »
 « إِلَيْكَ الْجَمَالَ الَّذِي لَا يَبِيدُ ! إِلَيْكَ الْوَجُودَ ، الرَّحِيبَ ، النَّصْرَ ! »
 « فَمِيدَى — كَمَا شَدَّتْ — فَوْقَ الْحَقُولِ ، بِحُلُو الثَّمَارِ وَغَضِّ الزَّهَرِ »
 « وَنَاجَى النَّسِيمَ ، وَنَاجَى الْغَيُومَ ، وَنَاجَى النُّجُومَ ، وَنَاجَى الْقَمَرَ »
 « وَنَاجَى الْحَيَاةَ وَأَشْوَاقَهَا ، وَفَتَنَةَ ، هَذَا الْوَجُودِ الْأَغْرَ »

« وَشَفَّ الدَّجَى عَنْ جَمَالٍ عَمِيقٍ ، يُشْبِهُ الْخِيَالَ ، وَيُذَكِّي الْفِكَرَ »
 « وَمُدُّ عَلَى السَّكُونِ سِحْرٌ غَرِيبٌ ، يُصَرِّفُهُ سَاحِرٌ مُقْتَدِرٌ »
 « وَضَاءَتِ شَمُوعُ النُّجُومِ الْوِضَاءَ ، وَضَاعَ الْبَخُورُ ، بُخُورَ الزَّهَرِ »
 « وَرَقَرَفَ رُوحٌ ، غَرِيبُ الْجَمَالِ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ ضِيَاءِ الْقَمَرِ »
 « وَرَنَّ نَشِيدُ الْحَيَاةِ الْمُقَدَّسِ فِي هَيْكَلٍ ، حَالِمٍ ، قَدْ سُجِرَ »
 « وَأُغْلِنَ فِي السَّكُونِ : أَنَّ الطُّمُوحَ لَهِيْبُ الْحَيَاةِ ، وَرُوحُ الْظَفَرِ »
 « إِذَا طُمَحَتْ لِلْحَيَاةِ النُّفُوسُ فَلَا بَدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدْرُ ! »

تَحْتِ الْغُصُونِ

هاهنا ، في خمائل الغاب ، تحت الزان
 أنتِ أشهى من الحياة وأبهى
 ما أرقّ الشباب ، في جسمك الغضّ
 وأدقّ الجمال في طرفك الساهى ،
 وألذّ الحياة حين تغنين
 وأوى رُوحك الجميلة عطراً
 قد تغنيت منذ حين بصوت
 نغمًا كالحياة عذبًا عميقًا
 فإذا الكون قطعة من نشيد
 فلن كنت تُنشدين ؟ فقالت :
 « للضباب المورّد ، المتلاشى
 « للمساء المهلّ للشفق الساجى ،
 « للعبير الذى يرفرف فى الأفق
 « للأغانى التى يرددها الراعى
 « للربيع الذى يوجّج فى الدنيا
 « ويوثى الوجودَ بالسحر ، والأحلام
 والسّـنديان ، والزيتون
 من جمال الطبيعة الميمون
 وفي جيمـدك ، البديع ، الثمين !
 وفي ثُغرى الجميل ، الحزين !
 فأصغى لصوتك المحزون
 ضائعاً فى حلاوة التلحين !
 ناعم ، حالم ، شجيّ حنون
 فى حنان ، ورقة ، وحنين
 علوى ، منغم ، موزون
 « الضمير البنفسجى الحزين »
 كخيالات حالم ، منقون
 لسحر الأسى ، وسحر السكون
 ويفنى ، مثل المُنَى ، فى سكون
 بمزمارة الصغير ، الأمين «
 حياة الهوى ، وروح الحنين «
 والزهر ، والشذى ، والأحون «

« فهو كأسٌ سحرية ، لرحيق الخلد قد صاغها إله الفنون »
« قبّلي ، وأسكري ثغري الصادي وقلبي ، وفنتي ، وجنوني »
« علني أستطيع أن أنفي لجمال الدجى بوحى العيون »
« آه ! ما أجمل الظلام ! وأقوى وحيمه فى فؤادى المفتون ! »
« أنظري الليل فهو حلّة الأحلام يمشى على الذرى والحزون »
« واسمعي الغاب ، فهو قيامة السكون تغنى حبنا الميمون »
« إن سحر الضباب ، والليل ، والغاب بعيد المدى ، قوى الفتون »
« وجمال الظلام يعبق بالأحلام والحب ... فابسمي ، والتمني ... »
.
« آه ! ما أعذب الغرام ! وأحلى رنة اللثم فى خشوع السكون ! »

... وسكرنا هناك ... فى عالم الأحلام تحت السماء ، تحت الفصوص ...
وتواري الوجود عنا بما فيه ... وغبنا فى عالم مفتون ...
ونسينا الحياة ، وللموت ، والسكون وما فيه من مئى ومَنون

إلى الشعب

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس ؟ أين الطموح ، والأحلام ؟
 أين يا شعب ، روحك الشاعر الفنان ؟ أين ، الخيال والإلهام ؟
 أين يا شعب ، فتك الساحر ، الخلاق ؟ أين الرسوم والأنعام ؟
 إنَّ يَمَّ الحياة يدوي حوائيك فأين المغامر ، المقام
 أين عزم الحياة ؟ لا شيء إلا الموت ، والصمت ، والأسى ، والظلام
 عمرٌ مَيّتٌ ، وقلبٌ حَوَايَا ودنٌ ، لا تشره الآلام
 وحياةٌ ، تنامُ في ظلمة الوادي وتنبوء من فوقها الأوهام
 أيُّ عيش هذا ، وأيُّ حياة ؟ (رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحَمَام)

قد مشت حولك الفصول وغنتك فلم تبتهج ، ولم تترنم
 ودوت فوقك العواصف والأنواء حتى أوشتك أن تتحطم
 وأطافت بك الوحوش وناشمتك فلم تضطرب ، ولم تقلم
 يا إلهي ! أما تحس ؟ أما تشدو ؟ أما تشكي ؟ أما تقلكم ؟
 ملّ نهر الزمان أيامك الموتي وأنقاض عُمرك المهتدم
 أنت لا مَيّت فيبلي ، ولا حي فيمشی ، بل كأنّ ، ليس يُفهم .

أبداً يرمق الفراغَ بطرفٍ جامدٍ ، لا يرى العوالمَ ، مُظلمٌ
أى سحرٍ دهاك ! هل أنت مسحورٌ شقيٌّ ؟ أو ماردٌ ، يتهكَّم ؟

آه ! بل أنت في الشعوب عجزٌ ، فيلسوفٌ ، مُحطَّمٌ في إهابه
ماتَ شوقُ الشباب في قلبه الداوى ، وعزمُ الحِمْيَاةِ في أعصابه
فمضى ينشد السلامَ . . . ، بعيداً . . . وهناك . اصطفى البقاء مع الأموات ،
وارتضى القبرَ مسكناً ، تتلاشى وتناسى الحياة ، والزمنَ الداوى
فالزَمَ القبرَ . . . فهو بيتٌ ، شبيهٌ واعبدُ « الأمس » وادَّكرَ صَوَرَ الماضي

وإذا مرَّت الحياةُ حوائيكَ جميلاً ، كالزهر غصناً صباها
تغنّى الحياةُ بالشوق والعزم فيمضي قلبَ المجاد غناها
والربيعُ الجميلُ يرقص فوق الورد ، والعشب ، مُنشدًا ، تباها
ومشى الناسُ خلفها ، يتملَّونَ فاحذَر السَّحَر ! أيها الناسك ، القديسُ ،
والربيعُ الفنَّانُ شاعرُها المفتونُ والربيعُ الجمالُ في رَمَم الموتى . . !

وَتَفَزَّلْ بِسِحْرِ أَيَّامِكَ الْأُولَى ، وَخَلِّ الْحَيَاةَ تَخْطُو خَطَاها

وَإِذَا هَبَّتِ الطُّيُورُ مَعَ الْفَجْرِ ، تُقَنِّى بَيْنَ الْمَرْجِ الْجَمِيلَةِ
وَتُحَيِّى الْحَيَاةَ ، وَالْعَالَمَ الْحَيَّ ، بِصَوْتِ الْحَبَّةِ الْمَعْسُورَةِ
وَالْفَرَاشُ الْجَمِيلُ رَفَرَفَ فِي الرَّوْضِ ، يَنْجَاى زَهْرَهُ الْمَطْلُوعِ
وَأَفَاقَ الْوُجُودِ لِلْعَمَلِ الْمُجْدَى ، وَلِلْسَّعْيِ ، وَالْمَعْرِفَةِ الْجَلِيلَةِ
وَمَشَى النَّاسُ فِي الشَّمَابِ ، وَفِي الْغَابِ ، وَفَوْقَ الْمَسَالِكِ الْمَجْهُورَةِ
يَنْشُدُونَ الْجَمَالَ ، وَالنُّورَ ، وَالْأَفْرَاحَ ، وَالْجِدَّ ، وَالْحَيَاةَ الْزَبِيلَةَ
فَاغْمُضْ الطَّرْفَ فِي الظَّلَامِ ! وَحَازِرْ فِتْنَةَ النُّورِ ... فَهِيَ رُؤْيَا مَهْلَةٍ ...
وَصَبَّاحُ الْحَيَاةِ لَا يُوقِظُ الْمَوْتَى وَلَا يَرْحَمُ الْجَفُونَ الْكَالِيَةَ

كُلُّ شَيْءٍ يُعَاطِفُ الْعَالَمَ الْحَيَّ ، وَيَذْكُرُ حَيَاتَهُ ، وَيَقِيدُهُ
وَالَّذِي لَا يُجَاوِبُ الْكَوْنَ بِالْإِحْسَاسِ عِبٌّ عَلَى الْوُجُودِ ، وَجُودُهُ
كُلُّ شَيْءٍ يُسَايِرُ الزَّمْنَ الْمَاشِيَ بِعَزِيمٍ ، حَتَّى التُّرَابُ ، وَدَوْدُهُ
كُلُّ شَيْءٍ — إِلَّاكَ — حَيٌّ ، عَطُوفٌ يُؤْنِسُ الْكَوْنَ شَوْقُهُ ، وَنَشِيدُهُ
فَمَاذَا تَعِيشُ فِي الْكَوْنِ يَا صَاحِبَ ! وَمَا فِيكَ مِنْ جَنَى يَسْتَفِيدُهُ
لَسْتَ يَا شَمِيعُ لِلْحَيَاةِ بِأَهْلٍ أَنْتَ دَائِلٌ يُدِيدُهَا وَتُبِيدُهُ
أَنْتَ قَفَرٌ جَهَنَّمِيُّ لَعِينٌ ، مُظْلَمٌ ، قَاحِلٌ ، مُرْبِعٌ جَوْدُهُ

لَا تَرَفُ الْحَيَاةُ فِيهِ ، فَلَا طَيْرٌ يُغْنِي ، وَلَا سَحَابٌ يَجُودُهُ

أَنْتَ يَا كَاهِنَ الظَّلَامِ حَيَاةٌ
كَافَرٌ بِالْحَيَاةِ وَالنُّورِ . . ، لَا يُصْفَى
أَنْتَ قَلْبٌ ، لَا شَوْقَ فِيهِ وَلَا عَزَمَ
أَنْتَ دُنْيَا ، يُظَلِّهَا أَفْقُ الْمَاضِي
مَاتَ فِيهَا الزَّمَانُ ، وَالْكَوْنُ إِلَّا
وَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ فِي الْأَرْضِ قَلْبٌ
أَنْتَ لَا شَيْءَ فِي الْوُجُودِ ، فَعَادِرُهُ
تَعْبُدُ الْمَوْتَ . . ! أَنْتَ رُوحُ شَقِيٍّ
إِلَى الْكَوْنِ قَلْبُهُ الْحَجَرِيُّ
وَهَذَا دَاءُ الْحَيَاةِ الدَّوِيُّ
وَلَيْلُ الْكَاتِبَةِ الْأَبْدِيُّ
أَمْسَهَا الْغَابِرُ ، الْقَدِيمُ ، الْقَصِيُّ
يَوْمُهُ مَيِّتٌ ، وَمَاضِيهِ حَيٌّ
إِلَى الْمَوْتِ فَهَوَ عَنْكَ غَنِيٌّ

الثَّالِثُ

مَا قَدَّسَ الْمَثَلَ الْأَعْلَى وَجَمَلَهُ
وَلَوْ مَشَى فِيهِمْ حَيًّا لَحَطَمَهُ
لَا يَعْبُدُ النَّاسُ إِلَّا كُلَّ مَنْعَدِمٍ
حَتَّى الْمَبَاقِرَةَ الْأَفْذَاذَ ، حُبَّهُمْ
فِي أَعْيُنِ النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُ حِلْمٌ !
قَوْمٌ ، وَقَالُوا بِنَجِثٍ : « إِنَّهُ صَمٌّ » !
يُمنَعُ ، وَلَمَنْ حَابَاهُمْ الْعَدَمُ !
يَلْقَى الشَّقَاءَ ، وَتَلْقَى مَجْدَهَا الرَّمَمُ !

النَّاسُ لَا يَنْصَفُونَ الْحَيَّ بَيْنَهُمْ
الْوَيْلُ لِلنَّاسِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ ! أَبَدًا
حَتَّى إِذَا مَا تَوَارَى عَنْهُمْ نَدَمُوا !
يَمْشِي الزَّمَانُ وَرِيحُ الشَّرِّ تَحْتَدِمُ . . .

نشيد الجبار

أوهكذا غنى بروميثيوس

سأعيش رغم الداء والأعداء
أرنب إلى الشمس المضيئة... هازناً
لا أرمق الظل الكئيب... ولا أرى
وأسير في دنيا المشاعر، حالمًا ،
أصغى لموسيقى الحياة ، ورحيها
وأصيحُ للصوت الإلهي ، الذي
كالنسر فوق القمة السماء
بالشخب ، والأمطار ، والأنواء ...
ما في قرار الهوة السوداء ...
غردًا — وتلك سعادة الشعراء —
وأذيب روح الكون في إنشائي
يحيي بقلبي ميت الأصـداء

وأقول للقدّر الذي لا يثنى
« لا يطفىّ الـلهب المؤجّج في دمي
« فاهدم فؤادي ما استطعت ، فإنه
« لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا ،
« ويعيش جبّارًا ، يحدّق دائماً
« واملاً طريقى بالخواف ، والدجى ،
« وانشر عليه الرعب ، وانثر فوقه
عن حرب آمالي بكلّ بلاء :
موجُ الأسى ، وعواصف الأرزاء «
سيمكون مثل الصخرة السماء «
وضرّاعة الأطفال والضعفاء «
بالفجر... ، بالفجر الجميل ، الفأى «
وزواجر الأشواك ، والخصباء «
رُجم الردى ، وصواعق البأساء «

« سأظل أمشي رغم ذلك ، عازفاً
 « أمشي بروح حالم ، مُتَوَهِّجٍ
 « النور في قلبي وبين جوانحي
 « إني أنا الناي الذي لا تنتهي
 « وأنا الخضمُّ الرطب ، ليس تزيده
 « أمّا إذا خدت حياتي ، وانقضى
 « وخمًا لهيب السكون في قاي الذي
 « فأنا السعيد بأنني مُتَحَوِّلٌ
 « لِأَذُوبٍ في جَرِّ الجلال السرمديّ
 قيثارتى ، مترنماً بضائى
 فى ظلمة الآلام والأدواء
 فعلام أخشى السير فى الظلماء !
 أنفامه ، مادام فى الأحياء
 إلا حياةً سَطَوَةٌ الأنواء
 عُمرى ، وأخرست المنية نائى
 قد عاش مثل الشعلة الحمراء
 عن عالم الآنام ، والبغضاء
 وأرتوى من منهل الأضواء »

وأقولُ للجمع الذين تجشّموا
 ورأوا على الأشواك ظلّي هامداً
 وغدوا يشبّونَ اللهبَ بكلِّ ما
 ومضوا يمدّونَ الخوان ، لياًكلوا
 إني أقول لهم — ووجهى مشرق
 « إن المَعاول لا تهد مفاكبي
 « فارموا إلى النار الحشائش .. ، والعبوا
 « وإذا تمرّدت العواصف ، وانتشى
 « ورأيتموني طائراً ، مترنماً
 هدى وودوا لى يخرى نسيانى
 فتخيّلوا أننى قضيتُ ذمائى
 وجدوا .. ، ليشوؤوا فوقه أشلائى
 لحمى ، ويرتشفوا عليه دمائى
 وعلى شفاهى بسمّة استهزاء — :
 والنار لا تأتى على أعضائى
 يا معشر الأطفال تحت سمائى
 بالهول قلب القبلة الزرقاء
 فوق الزوابع ، فى الفضاء النائى »

« فارموا على ظلي الحجارة . ، واختفوا
 « وهناك ، في أمنِ البيوت ، تطارحوا
 « وترنموا — ماشتم — بشتائمى
 « أما أنا فأجيبكم من فوقكم
 « من جاش بالوحي المقدس قلبه
 خوفَ الرياحِ الهُوجِ والأنواء . . .
 غثَ الحديث ، وميتَ الآراءِ
 وتجاهروا — ماشتم — بعدائى
 والشمسُ والشفقُ الجميل إزائى :
 لم يحفل بحجج — ارة الفلتاء —

زوبعة في ظلام

لو كانت الأيام في قبضتى
 وقلت : « ياربح ، بها فاذهي
 « بل في فجاج الموت . . في عالم
 أذريتها للريح ، مثل الرمال
 وبدديها في سحق الجبال
 لا يرقص النور به والظلال . . .

لو كان هذا الكون في قبضتى
 ما هذه الدنيا ، وهذا الورى
 النار أولى بعبيد الأمى ،
 ألقىته في النار ، نار الجحيم
 وذلك الأفق ، وتلك النجوم ؟
 ومسرح الموت ، وعشّ الهموم

يا أيها الماضى الذى قد قضى
 يا حاضر الناس الذى لم يزُل !
 سخافةً دنياكم هذه
 وضمه الموت ، وليلُ الأبد !
 يا أيها الآنى الذى لم يلد !
 تائهة في ظلمة لا تُحد . . !

الأيّاتُ تراوُ

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبى — ومشاعرى عميةً بالأحزان —
 أنى سأظلماً للحياة ، وأحتسى من نهرها المتوهّج النشوان
 وأعودُ للدينيا بقلبٍ خافٍ للحبِّ ، والأفراح ، والألحان
 ولكل ما فى الكون من صور المنى وغرائب الأهواء والأشجان
 حتى تحركت السنون ، وأقبلت فتن الحياة بسحرها الفنّان
 فإذا أنا مازلت طفلاً ، مزلماً بتمعّيب الأضواء والألوان
 وإذا التشاؤم بالحياة ورفضها ضرب من البهتان والهذيان
 إن ابن آدم فى قرارة نفسه عبد الحياة الصادق الإيمان

حرم الأمومة

الأمُ تلثم طفلها ، وتضمّه حرمٌ ، سماوى الجمال ، مقدّسٌ
 تقاله الأفكار . وفى جوارّه وتعود طاهرةً هناك الأنفس
 حرمُ الحياة بظهورها وحنانها هل فوقه حرمٌ أجلُّ وأقدس ؟
 بوركّت يا حرم الأمومة والصبا كم فيك تكتمل الحياة وتقدّس

قلب الشَّحَر

كل ماهبٌ ، ومادبٌ ، وما
نام ، أو حام على هذا الوجود
من طيورٍ ، وزهورٍ ، وشذى
وينابيع ، وأغصان تيمد
وبحارٍ ، وكهوفٍ ، وذرى
وبراكين ، ووديانٍ ، وبمد
وضياء ، وظلالٍ ، ودجى ،
وفصول ، وغيوم ، ورعود
وثلوج ، وفضابابٍ عابرٍ ،
وأعاصيرٍ ، وأمطارٍ تجود
وتعاليمٍ ، ودينٍ ، ورؤى ،
وأحاديثٍ ، وصمتٍ ، ونشيد
كلها تحيا بقلبي ، حُرَّةٌ
غضة السحر ، كأطفال الخلود

هاهنا ، فى قلبى الرُحْبِ ، العميق
يرقص الموتُ وأطيافُ الوجود
هاهنا ، تمصف أهوال الدجى
هاهنا ، تحقق أحلام الورود
هاهنا ، تُعزفُ ألحانُ الخلود
هاهنا ، تُعزفُ ألحانُ الخلود
هاهنا ، تمشى الأمانى ، والهوى ،
هاهنا ، فى موكبِ فخْمِ النشيد
هاهنا الفجر الذى لا ينتهى
هاهنا ، فى الليل الذى ليس يبمد
هاهنا ، ألفُ خِضمٍّ ، نائزٍ
هاهنا ، فى كلِّ آنٍ تمحى
هاهنا ، فى كلِّ آنٍ تمحى

الدُّنْيَا الْمَيْتَةُ

إني أرى .. ، فأرى جموعاً جمّةً
يدوى حوائنها الزمان ، كأنما
إذا استجابوا للزمان تفاكروا
وقضوا على روح الأخوة بينهم
فرحت بهم غولُ التعاسة والفنا
لعب ، تحركها المطامع ، واللهى
وأرى نفوساً ، من لُحْخُلٍ ، جامدٍ
موتى ، نسوا شوق الحياة وعزمتها
وخبأ بهم لَهَبُ الوجود ، فابقوا
لا قلب يفتحهم الحياة ، ولا حجى
بل فى التراب الميّت ، حزن الترى
وتموت خاملةً ، كزهري بائس
أبدًا تحديق في التراب .. ، ولا ترى
الشاعر الموهوب يُهْرِقُ فَنَّهُ
ويعيش فى كونٍ ، عقيم ، ميّت
والعالم النحرير يُنْفِقُ عُمُرَهُ

يَحْيَا عَلَى رَمَمِ الْقَدِيمِ الْمُجْتَوَى كَالْدُودِ فِي حَمِّ الرَّمَادِ الْخَلْبَى
وَالشَّعْبُ بَيْنَهُمَا قَطِيعٌ ضَائِعٌ دُنْيَاهُ دُنْيَا مَأْكُلٍ وَشَرَابِ

الْوَيْلُ لِلْحَسَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ مَاذَا يُبْلِقِي مِنْ أَيْىٍ وَعَذَابِ !

إِلَى طُغَاةِ الْعَالَمِ

أَلَا أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمُسْتَبِدُّ حَبِيبُ الظَّلَامِ ، عَدُوُّ الْحَيَاةِ
سَخَرْتَ بِأَنَاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ وَكَفَكَ مَخْضُوبَةً مِنْ دِمَائِهِ
وَسَرْتَ تُشْوَهُ سِجَرَ الْوُجُودِ وَتَبْذُرُ شَوْكَ الْأَسَى فِي رُبَاهُ

رُؤْيَاكَ ! لَا يَخْدَعُنكَ الرَّبِيعُ وَصَحْوُ الْفَضَاءِ ، وَضَوْءُ الصَّبَاحِ
فَنِي الْأَفُقِ الرَّحْبِ هَوْلُ الظَّلَامِ وَقِصْفُ الرُّعُودِ ، وَعَصْفُ الرِّيَّاحِ
حَذَارِ ! فَتَحَتِ الرَّمَادِ اللَّهِيْبُ وَمَنْ يَبْذُرُ الشَّوْكَ يَحْنُ الْجِرَاحِ

تَأْمَلِ ! هُنَالِكَ .. أَنَّى حَصَدْتَ رَمُوسَ الْوَرَى ، وَزَهْوَرَ الْأُمْلِ
وَرَوَّيْتَ بِالْدمِ قَلْبَ التُّرَابِ وَأَشْرَبْتَهُ الدَّمْعَ ، حَتَّى ثَمَلَ
سَيَجْرُفُكَ السَّيْلُ ، سَيْلُ الدَّمَاءِ وَيَأْكُلُكَ الْعَاصِفُ الْمُشْتَعِلُ

شِكْوَى ضَائِعَةٍ

يا ليل ! ما تصنع النفسُ التي سكنت
 هذا الوجودَ ، وَمِنْ أَعْدَائِهَا القدر؟
 ترضى وتسكت ؟ هذا غير محتمل !
 إذا ، فهل ترفض الدنيا ، وتنتحر ؟
 وإذا جنونٌ لعمري ، كله جَزَعٌ
 بالكِ ، ورأى مريضٌ ، كله حَوَر !
 فإِنَّمَا الموتُ ضربٌ من حَبَائِلِهِ
 لا يُفْلِتُ الخَلْقُ ما عاشوا ، فما انظر ؟
 هذا هو اللُّغْزُ ، حَمَّاهُ وَعَقْدَهُ
 على الخليقة ، وحشٌ ، فانك حَذِر
 قد كَبَّلَ القدرُ الضاري فرائسه
 فما استطاعوا له دفعًا ، ولا حَزَرُوا
 وخاطَ أعينهم ، كي لا تشاهده
 عينٌ ، فتعلم ما يأتى وما يذر
 وحاطهم بفنونٍ من حَبَائِلِهِ
 فما لهم أبداً من بطشه ووزر
 لا الموت يُنقذهم من هولِ صولته
 ولا الحياةُ . تَسَاوَى الناسُ والحجر !
 حَارَ المساكينُ ، وارتاعوا ، وأعجزَهم
 وهم يعيشون في دنيا مشيئة
 أن يحذروه ، وهل يُجديهم الحذر
 وكيف يحذر أعمى ، مُدْلِجٌ ، تَعِبٌ ،
 من الخطوب ، وكونِ كله خطر ؟
 هولَ الظلام ، ولا عزمٌ ولا بَصَرُ ؟
 قد أيقنوا أنه لا شيء يُنقذهم
 فاستساموا السكون الرعب ، وانتظروا ..

ولو رأوه لسارت كي تحاربه من الوري زمره ، في إثرها زمر
 واثارت الجن ، والأملاك ناقية والبحر ، والبر ، والأفلاك ، والمهمر
 لكنه قوة تملى إرادتها سرًا ، فتمعنوا لها قهرًا ، ونأتمروا
 حفيقة ، مرة ، ياليل ، مبعضة كالموت ، لكن إليها الورود الصدر

* * *

تسجد الليل ، حتى قلت : « قد نثرت تلك النجوم ، ومات الجن والبشر »
 وعاد للصمت . ، يصغى في كتابته كالفيلسوف - إلى الدنيا ، ويفقه كـ ..
 وقمة القدر الجبار ، سخرية بالكائنات . تضحك أيها القدر !
 تمشي إلى العدم المحتوم ، باكية طوائف الخلق والأشكال والصور
 وأنت فوق الأسي والموت ، مبهتسم ترنو إلى السكون ، يُبني ، ثم يندثر

الغَابَاتُ

بيتٌ ، بَدَتْهُ لَى الحَيَاةُ مِنَ الشَّدَى ،
 بيتٌ ، من السَّحَرِ الْجَمِيلِ ، مُشِيدٌ
 فى الغَابِ سَحَرٌ ، رَائِعٌ مُتَجَدِّدٌ
 وشَدَى كَأَجْنَحَةِ الْمَلَائِكِ ، غَامِضٌ
 وَجَدَاوِلُ ، تَشْدُو بِمَحْشُولِ الْغِنَا
 وَمَخَارِفُ نَسِجَ الزَّمَانِ بِسَاطِلِهَا
 وَحَنًا عَلَيْهَا الدَّوْحُ ، فى حَبْرَتِهِ
 فى الغَابِ ، فى تِلْكَ الْمَخَارِفِ ، وَالثَّرْبَا ،
 كم من مَشَاعِرٍ ، حُلُوةٍ ، مَجْهُولَةٍ
 غَفَّتْ ، كَأَسْرَابِ الطَّيُورِ ، وَرَفَرَفَتْ
 وَلَكَمْ أَصْخَتْ إِلَى أَنَاشِيدِ الْأَسَى
 وَإِلَى الرِّيحِ النَّائِحَاتِ كَأَنَّهَا
 وَإِلَى الشَّبَابِ ، مُغَنِّيًا ، مُتَرَنِّمًا
 وَسَمِعْتُ لِلطَّيْرِ ، الْمَغْرَدِ فى الْفَضَا
 وَإِلَى أَنَاشِيدِ الرِّعَاةِ ، مُرْفَةٍ
 وَإِلَى الصَّدَى ، لِلْمِرَاحِ ، يَهْتَفِرُ اقْصَا

والظِّل ، والأضواء ، والأنعام
 للحَبِّ ، والأحلام ، والإلهام
 باقٍ عَلَى الأَيَّامِ والأَعْوَامِ
 سَامٍ يُرْفَرَفُ فى سَكُونِ سَامٍ
 وَتَسِيرُ حَالِمَةً ، بِغَيْرِ نِظَامٍ
 مِنْ يَابِسِ الْأَوْرَاقِ وَالْأَكَامِ
 بِالظِّلِّ ، والأَغْصَانِ وَالْأَنْسَامِ
 وَعَلَى التَّلَاحِ الْخَضِرِ ، وَالْآجَامِ
 سَكْرَى ، وَمِنْ فِكْرٍ ، وَمِنْ أَوْهَامِ
 حَوْلَى ، وَذَابَتْ كَالدَّخَانِ ، أَمَامِ
 وَتَنَهَّدِ الْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ
 فى الغَابِ تَبْكِي مَيِّتَ الأَيَّامِ
 حَوْلَى بِالْحُلُوفِ الْغَرَامِ الْظَّامِ
 وَالسَّنْدِيَانِ ، الشَّامِخِ ، الْمُتَسَامِ
 فى الغَابِ ، شَادِيَةً كَسِرْبِ يَمَامِ
 بَيْنَ الْفَجَاجِ الْفَيْحِ وَالْآكَامِ

حتى غداً قلبى كُنْاي ، مُتَرَعٍ
 فشدوتُ بالاحن الغريب مُجَنَّحًا
 فى الغاب ، دنيا للخيال ، ولرؤى ،
 لله يومَ مضيتُ أولَ مرَّةٍ
 ودخلته وحدى ، وحولى موكبٍ
 ومشتيتُ تحتِ ظلاله مُتَهَيِّبًا
 أُرزى إلى الأدواح ، فى جبروتها
 قد مسها سحرُ الحياة ، فأورقتُ
 وأصيحُ للصمتِ المفكر ، هاتِفًا
 فإذا أنا فى نشوةٍ شمريةٍ
 ومشاعرى فى يقظةٍ مسجورةٍ
 وشئى ، كيقظة آدمَ لما سَرى
 وشجته موسيقى الوجود ، وعانقتُ أحلامه ، فى رقةٍ وسلام
 ورأى الفردائس ، الأنيقة ، تنثى
 ورأى الملائك ، كالأشعة فى الفضاء
 وأحسنَ رُوحَ السكون تحفُّق حوله
 والكائنات ، تحوطه بجمانها
 حتى تملأ بالحياة كيانه
 مُملٍ من الأُحسان والأتنام
 بكآبة الأحلام والآلام
 والشعر ، والتفكير ، والأحلام
 للغاب ، أرزحُ تحت عبء سقامى
 هزجٌ ، من الأحلام والأوهام
 كالطفل ، فى صمتٍ ، وفى استسلام
 فإخاها عمَد السماء ، أُمَامِي
 وتمايلتُ فى جنةِ الأحلام
 فى مسمى بغرائب الأنعام
 قِيَاضِيَّةٍ بالوحى والإلهام
 (١)

(١) بياض بالأصل والسودات .

وَلَرُبَّ صُبْحٍ غَائِمٍ ، مُتَحَجِّبٍ
 تَتَنَفَّسُ الدُّنْيَا ضَبًّا أَبَا ، هَائِمًا
 وَالرَّيْحُ تَحْفَقُ فِي الْفَضَاءِ ، وَفِي الثَّرَى
 بَاكَرَتْ فِيهِ الْغَابُ مَوْهُونَ الْقُوَى
 وَجَلَسْتُ تَحْتَ السَّنْدِيَانَةِ ، وَاجِمًا
 فَارَى الْمَبَانِي فِي الضِّيَابِ ، كَأَنَّهَا
 أَوْ عَالَمٌ ، مَازَالَ يُؤَلَّدُ فِي فَضَاءٍ
 وَأَرَى الْفَجَاجَ الدَّامِسَاتِ ، خَالِلَةً
 فَكَأَنَّهَا شَعْبُ الْجَحِيمِ ، رَهِيمَةً
 صُورَ ، مِنْ الْفَنِّ الْمُرَوَّعِ ، أَعْجَزَتْ
 وَلَسَكُمْ مَسَاءٌ ، حَالِمٌ مَتَوَشِّحٍ
 قَدَسَرْتُ فِي غَابِي ، كَفَكْرٍ ، هَائِمٍ
 شَعَرِي ، وَأَفْكَارِي ، وَكُلُّ مَشَاعَرِي
 وَالْأَفْقُ يَزْخَرُ بِالشَّعَةِ وَالشَّدَى
 وَالْغَابُ سَاجٍ ، وَالْحَيَاةُ مَصِيخَةٌ
 وَعُرُوسُ أَحْلَامِي تُدَاعِبُ عُودَهَا
 رُوحٌ أَنَا ، مَسْحُورَةٌ ، فِي عَالَمٍ
 فِي كَلِمَةٍ مِنْ زَغَزَعٍ وَغَمٍ
 مُتَدَفِّعًا فِي أَفْقِهِ الْمُتَرَامِي
 وَعَلَى الْجِبَالِ الشَّمْسُ ، وَالْأَكَامِ
 مِتَخَاذِلَ الْخَطَوَاتِ وَالْأَقْدَامِ
 أَرْنُو إِلَى الْأَفْقِ الْكَثِيبِ ، أَمَامِي
 فِكْرٌ ، بِأَرْضِ الشَّكِّ وَالْإِبْهَامِ
 الْكَوْنِ ، بَيْنَ غِيَاهِبٍ وَسِدَامِ
 وَمَشَاهِدِ الْوُدَيَانِ وَالْآجَامِ
 مَلْفُوفَةٌ فِي غُبَشَةٍ وَظَلَامِ
 وَخَى الْقَرِيضِ وَرِيشَةِ الرَّسَامِ
 بِالظَّلِّ ، وَالضَّوءِ الْحَزِينِ الدَّامِي
 فِي نَشْوَةِ الْأَحْلَامِ وَالْإِلْهَامِ
 مَنشُورَةٌ لِلنُّورِ وَالْأَنَامِ
 وَالْأَرْضُ بِالْأَعْشَابِ وَالْأَكَامِ
 وَالْأَفْقُ ، وَالشَّفَقُ الْجَمِيلُ ، أَمَامِي
 فَيَرُّ قَلْبِي بِالصَّدَى وَعِظَامِي
 فَوْقَ الزَّمَانِ الزَّاخِرِ الدَّوَامِ

فِي الْغَابِ ، فِي الْغَابِ الْحَبِيبِ ، وَإِنَّهُ
 طَهَّرَتْ فِي نَارِ الْجَمَالِ مَشَاعَرِي
 حَرَّمَ الطَّبِيعَةِ وَالْجَمَالَ السَّامِي
 وَلَقِيتُ فِي دُنْيَا الْخَيَالِ سَلَامِي

وَنَسِيتُ دُنْيَا النَّاسِ ، فَهِيَ سَخَافَةٌ
وَقَبَسْتُ مِنْ عَطْفِ الْوُجُودِ وَحُبِّهِ
فَرَأَيْتُ أَلْوَانَ الْحَيَاةِ نَضِيدَةً
وَوَجَدْتُ سِحْرَ الْكَوْنِ أَسْمَى عُنْصُرًا
فَأَهْبَيْتُ - مَسْحُورَ الشَّاعِرِ ، حَالِمًا
« الْعَبْدُ الْحَيُّ الْمُقَدَّسُ هَاهُنَا !
« فَأَخْلَعُ مُسَوِّحَ الْحُزْنِ تَحْتَ ظِلَالِهِ
« وَارْفَعْ صَلَاتَكَ لِلْجَمَالِ ، عَمِيقَةً
« وَاصْدَحْ بِالْحُلَانِ الْحَيَاةِ ، حَمِيلَةً
« وَاخْفُقْ مَعَ الْعِطْرِ الْمَرْفُوفِ فِي النُّضَا
« وَمَعَ الْيُنَائِيْعِ الطَّلِيْقَةِ وَالصَّدَى ، (١)
وَذَرَوْتُ أَفْكَارِي الْحَزِينَةَ لِلدَّجَى
وَمَضَيْتُ أَشَدُّوْ لِلْأَشْعَةِ سَاخِرًا
وَهْتَفْتُ : « يَا رُوحَ الْجَمَالِ ! تَدْفُقِي
« وَتَغْلُغِي كَالنُّورِ ، فِي رُوحِي الَّتِي
« أَنْتِ الشُّعُورُ الْحَيُّ يَزْخَرُ دَافِقًا كَالْفَارِ ، فِي رُوحِ الْوُجُودِ النَّامِي
« وَيَصُوغُ أَحْلَامَ الطَّبِيعَةِ ، فَاجْعَلِي عُمرِي نَشِيدًا ، سَاخِرَ الْأَنْفَامِ
« وَشَدَّاءُ يَضُوعُ مَعَ الْأَشْعَةِ وَالرُّؤْيَى فِي مَعْبَدِ الْحَقِّ الْجَلِيلِ السَّامِي

(١) يَبَاضُ بِالْأَصْلِ وَالْمَسْوَدَاتِ .

فلسفة الثعبان المقدس

فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان . وكما تحدث الثعبان في القطعة التالية إلى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه ، فسماه « تضحية » وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس . . .

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حينما تحاول أن تسوغ طريقها في ابتلاعها والعمل لقتل ميزات القومية فتسميها : « سياسة الإدماج » وتمكّم عنها كالسبيل الوحيد الذي لا معدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها في هذا العالم ، وبلوغ السكّال الإنساني المنشود ، ولكن الفناء حقيقة شديدة . مبعضة ، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل مافي التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام .

كان الربيعُ الحثي روحاً ، حالمًا ، غصَّ الشباب ، معطرًا الجلباب
يمشي على الدنيا ، بفكرة شاعرٍ ويطوفها ، في موكبٍ خلّاب
والأفقُ يملأه الحسنانُ ، كأنّه قلبُ الوجود المنتجج الوهاب
والسكون من طُهر الحياة كأنما هوَ معبدٌ ، والغابُ كالحراب
والشاعرُ الشحرورُ يرقص ، منشداً لشمس ، فوق الوردِ والأعشاب

شَفَرِ السَّعَادَةِ وَالسَّلَامِ ، وَنَفْسُهُ
وَرَأَى ثَعْبَانُ الْجِبَالِ ، فَغَمَّهُ
وَانْقَضَ ، مُضْطَفِنًا ، كَأَنَّهُ
بَغِيَ الشَّقِيَّ ، فَصَاحَ فِي هَوْلِ الْقَضَا
وَتَدَفَّقَ الْمُسْكِينُ يَصْرُخُ نَائِرًا :
« لَأَشْيَاءٌ ، إِلَّا أَنِّي مَغْفُورٌ »
« أَلْقَى مِنَ الدُّنْيَا حَفَانًا طَاهِرًا »
« أَيْعَدُّ هَذَا فِي الْوُجُودِ جَرِيمَةً ؟ ! »
« لَا [أَيْنَ؟] ، فَالْشَّرْعُ الْمُقَدَّسُ هَاهُنَا »
« وَسَعَادَةُ الضَّعَفَاءِ جُرْمٌ . . ، مَالَهُ »
« وَلْتَشْهَدْ الدُّنْيَا الَّتِي غَنَيْتَهَا »
« إِنْ السَّلَامَ حَقِيقَةً ، مَكْذُوبَةٌ »
« لَا عَدْلَ ، إِلَّا إِنْ تَعَادَلَتِ الْقُوَى »
فَتَبَسَّمَ الثَّعْبَانُ بِسَمَةِ هَازِيءٍ
« يَا أَيُّهَا الْغُرُّ الْمَثْرَرُ ، إِنِّي »
« وَالْغُرُّ يَعْذَرُهُ الْحَكِيمُ إِذَا طَغَى »
« فَكَيْفَ عَوَاطِفُكَ الْجَوَامِحَ ، إِنَّمَا »
« إِنِّي إِلَهُ ، طَالَمَا عَبَدَ الْوَرَى »
« وَتَقَدَّمُوا لِي بِالضَّحَايَا مِنْهُمْ »

سَكَّرَنِي بِسِحْرِ الْعَالَمِ الْخِلَابِ
مَا فِيهِ مِنْ مَرَّحٍ ، وَفَيْضِ شَبَابِ
سَوَّطُ الْقَضَاءِ ، وَلَعْنَةُ الْأَرْبَابِ
مَقْلَقَتَا لِلصَّائِلِ الْمُتَنَابِ
« مَاذَا جَنَيْتُ أَنَا فَحَقَّ عِقَابِي ! »
« بِالسَّكَاثَاتِ ، مَغْرَدٌ فِي غَابِي »
« وَأَبْشُرْهَا نَجْوَى الْحُبِّ الصَّابِي »
« أَيْنَ الْعَدَالَةُ يَارِفَاقَ شَبَابِي ؟ »
« رَأَى الْقَوَى ، وَفِكْرَةُ الْغَلَابِ ! »
« عِنْدَ الْقَوَى سَوَى أَشَدِّ عِقَابِ ! »
« حَلَمَ الشَّبَابِ ، وَرَوْعَةُ الْإِحْجَابِ »
« وَالْعَدْلَ فِلَسْفَةُ الْإِلَهِيِّبِ الْخِلَابِ »
« وَتَصَادَمَ الْإِرْهَابُ بِالْإِرْهَابِ »
« وَأَجَابَ فِي سَمْتٍ ، وَفَرَطٍ كِذَابِ : »
« أَرَأَيْتَ لِمُثَوْرَةِ جُهْلِكَ الثَّلَابِ »
« جَهْلُ الصَّبَا فِي قَلْبِهِ الْوُثَابِ »
« شَرَدْتُ بُلْبُوكَ ، وَاسْتَمَعْتَ لَخَطَابِي »
« ظَلَمْتُ ، وَخَافُوا لِعَتَّتِي وَعِقَابِي »
« فَرَحِينَ ، شَأْنَ الْعَابِدِ الْأَوَابِ »

« وسعادة النفس التقية أنها
« فتصير في روح الألوهة بضعة ،
« أفلا يسرك أن تكون ضحيتي
« وتكون عرماً في دمي ، وتوهجاً
« ونذوب في روعي التي لا تنتهي
« إني أردت لك الخلود مؤلماً
« فسكر ، لتدرك ما أريد ، وإنه
« فأجابه الشحور ، في غصص الردى
« لا رأى للحق الضعيف ، ولا صدق ،
« فافعل مشيئتك التي قد شئتها
« يوماً تكون ضحية الأرباب
« قدسية ، خلصت من الأوشاب
« فتحل في لحمي وفي أعصابي
« في ناظري ، وحدة في نابي
« وتصير بعض ألوهي وشبابي . ؟
« في روعي الباقي على الأحقاب . .
« أسمى من العيش القصير النابي
« والموت يخنقه : « إليك جوابي :
« والرأي ، رأي القاهر الغلاب
« ورحم جلالك من سماع خطابي . . »

وكذلك تتخذه المظالم منطقاً عذبا لتخفي سوءة الآراب

الفهرس

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٤٧	أغنية الأحزان	٧	ترجمة المؤلف
٥٢	المجد	١٣	من وراء الظلام
٥٢	سر مع الدهر	١٣	تونس الجميلة (مع التعليقات)
٥٣	والذكرى	١٤	من حديث الشيوخ
٥٥	مناجاة عصفور	١٤	خلة للموت
٥٧	الطفولة	١٥	الحياة
٥٨	قالت الأيام	١٥	منظرة في الحياة
٥٩	المساء الحزين	١٧	غرفة من
٦٢	بقايا الحريف	١٨	أنشودة الرعد
٦٤	أغنية الشاعر	١٩	في الظلام
٦٥	في فجاج الآلام	٢٠	ما تم الحب
٦٩	جدول الحب	٢٢	الكتابة المجهولة
٧٣	يارفقي	٢٥	سأها الليل
٧٦	إلى الموت	٢٩	مشكوى اليتيم
٧٨	إلى عازف أعمى	٣١	الزنبقة النداوية
٨١	صوت تائه	٣٣	شمري
٨٣	نشيد الأسى	٣٥	يا شعر
٨٦	قلت للشعر	٤٢	نثر العاصفة
٨٨	يا ابن أمي	٤٣	إلى الطاغية
٨٩	أغاني التائه	٤٤	السامة
٩١	إلى قلبي التائه	٤٥	الحب
٩٣	أكثر يا قلبي فماذا تروم	٤٥	أيها الحب
٩٥	يا موت	٤٦	الدموع

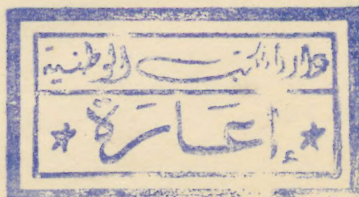
« وسعادة النفس التقية أنها
« فتصير في روح الألوهة بضعة ،
« أفلا يسرُّك أن تكون ضحيّتي
« وتكون عزمًا في دمي ، وتوهجًا
« وتدوب في روحي التي لا تنتهي
« إني أردت لك الخلود مؤلّها
« فـكـرّ ، لتدرك ما أريد ، وإني
« فأجابه الشحرور ، في غصص الردي
« لا رأي للحق الضعيف ، ولا صدّي ،
« فافعل مشيئتك التي قد شئتها
« يومًا تكون ضحيّة الأرباب »
« قدسيّة ، خلصت من الأوثاب »
« فتحلّ في لحمي وفي أعصابي
« في ناظريّ ، وحيدة في نابي
« وتصير بعض أوهتي وشبابي . . ؟ »
« في روحي الباقي على الأحقاب . . »
« أسبي من العيش القصير النابي
« والموت يخفقه : « إليك جوابي : »
« والرأي ، رأي القاهرة الغلاب »
« وارحم جلالك من سماع خطابي . . »

وكذاك تتخذ المظالم منطقًا
عذبًا لتخفي ساءة الآراب

الفهرس

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٤٧	أغنية الأحران	٧	ترجمة المؤلف
٥٢	المجد	١٣	من وراء الظلام
٥٢	سر مع الدهر	١٣	تونس الجميلة (مع التعاليق)
٥٣	الذكرى	١٤	من حديث الشيوخ
٥٥	مناجاة عصفور	١٤	خلة الموت
٥٧	الطفولة	١٥	الحياة
٥٨	قالت الأيام	١٥	نظرة في الحياة
٥٩	المساء الحزين	١٧	غرفة من بيم
٦٢	بقايا الخريف	١٨	أنشودة الرعد
٦٤	أغنية الشاعر	١٩	في الظلام
٦٥	في فجاج الآلام	٢٠	مأتم الحب
٦٩	جدول الحب	٢٢	السكابة المجهولة
٧٣	يارفقي	٢٥	أيها الليل
٧٦	إلى الموت	٢٩	شكوى اليتيم
٧٨	إلى عازف أعمى	٣١	الزنبقة الداوية
٨١	صوت تائه	٣٣	شعري
٨٣	نشيد الأسي	٣٥	يا شعر
٨٦	قلت للشعر	٤٢	زئير العاصفة
٨٨	يا ابن أمي	٤٣	إلى الطاغية
٨٩	أغاني التائه	٤٤	السامة
٩١	إلى قلبي التائه	٤٥	الحب
٩٣	أكثر يا قلبي فماذا تروم	٤٥	أيها الحب
٩٥	يا موت	٤٦	الدموع

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٤٧	الجنة الضائعة	٩٨	إلى الله
١٥١	السعادة	١٠٢	النبي المجهول
١٥٢	دمن أغاني الرعاة	١٠٦	صفحة من كتاب الدموع
١٥٥	أيها الحاملة بين العواصف	١٠٨	شجون
١٥٦	الأبد الصغير	١٠٩	إلى عذارى أفروديت
١٥٨	صوت من السماء	١	الجمال المنشود
١٥٩	الصباح الجديد	٢	طريق الهاوية
١٦٢	ذكرى صباح	١١٢	الأشواق التائهة
١٦٤	الرواية الغريبة	١١٤	أحلام شاعر
١٦٥	ألحان السكري	١١٥	قيود الأحلام
١٦٧	إرادة الحياة	١١٦	؟
١٧١	تحت الغصون	١١٧	أنا أبكىك للحب
١٧٥	إلى الشعب	١١٨	أبناء الشيطان
١٧٨	الفاصل	١١٩	سر النهوض
١٧٩	نشيد الجبار	١٢١	صلوات في هيكل الحب
١٨١	زوبعة في ظلال	١٢٥	أراك
١٨٢	الاعتراف	١٢٦	رثاء فجر
١٨٢	حرم الأمومة	١٢٧	فكرة الفنان
١٨٣	قلب الشاعر	١٢٩	قلب الأم
١٨٤	الدنيا الميتة	١٣٤	حديث المقبرة
١٨٥	إلى طغاة العالم	١٤١	في ظل وادي الموت
١٨٦	شكوى ضائعه	١٤٤	الساحرة
١٨٨	الغاب	١٤٦	قال قاي للاله
١٩٢	فلسفة الشعب المقدس	١٤٦	متابع العظمة



المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

